بيت المغاربة

قصص رسوم داخلية

عمرو على

نهال اليماني

الإهـداء

إلى روح أمي وأبي

كنت أتمنى أن تعيشوا معى ولادة أول عمل أدبي لي

إلى زوجي الذى اعتاد أن يعاملنى كطفلته المدللة لا زوجته ولولاه ما خرج هذا اكلتاب إلى النور

إلى أستاذ خالد الصفتى الصديق والأخ العزيز أشكرك جدا على دعمك الدائم ووقوفك بجانب لظهور هذا العمل إلى النور

مقدمـة

مجموعة جديدة وصياغة سلسلة، تتميز هذه المجموعة بجاذبيتها التى تجعلم تنتقل بين قصصها وأفكارها المتحررة باهتمامٍ واستمتاعٍ حتى تفاجأ بأنك انتهين منها فى وقتٍ قياسيٍ لم تكن تتوقعه..!

بداية قوية للكاتبة الشابة ((نهال اليماني)) التى نرجو أن نرى منها المزيد..

خالد الصفتى

الخريف

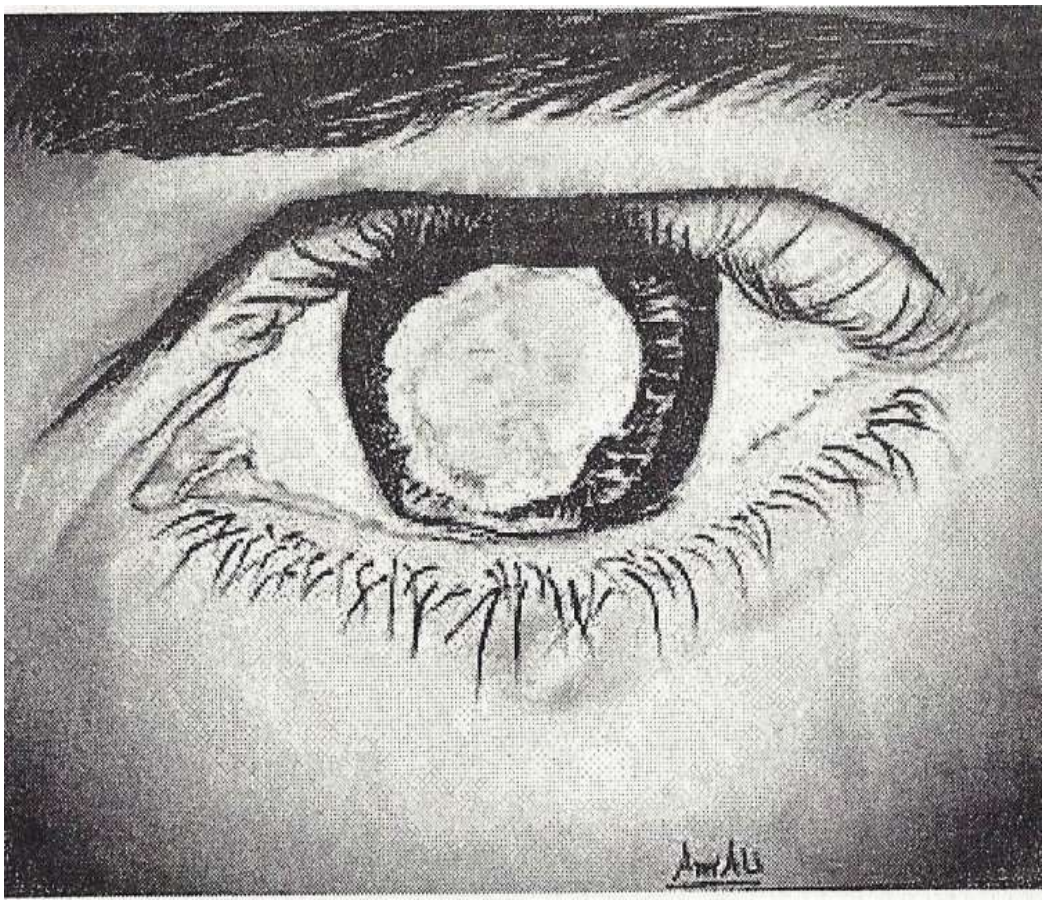

اشتمت رائحة المطر، على الرغم من أن النوافذ جميعها مغلقة. هرعت ناحية النافذة، وأمسكت بطرف إحدى ستائرها ونظرت من خلفها، فهالها مشهد المطر المنهمر سريعاً. شئ ما دغدغ مشاعرها، ففتحت النافذة دون تردد، وخلعت بيدها المنديل المنعقد على شعرها، وظلت تهز رأيها إلى ان فردته تحت مياه المطر الباردة. ظلت تحرك رأسها ويديها تحت المطر، لم تدر كم من الوقت مرن ولكنها نظرت الى الشارع الممتلئ بالماء، فأدركت إنها ظلت تحت المطر عدة ساعات.

عادت مرة أخرى إلى مقعدها، وجلست منهكة؛ فهى لم تعد هذه الفتاة العشرينية، التى كانت تجرى تحت المطر مع حبيبها. لقد أمست فى السبعين من عمرها، لم تدر كيف مرت كل هذه الأعوام، وكيف عاشت كل هذا الوقت بدونه.

مى، فتاة فى العشرين من عمرها، تقدم لخطبتها هذا الشاب الذى كان دائماً ملازماً لأخيها، وكان هو الوحيد المسموح له بدخلو المنزل، نظراً لدماثة خلقه وحلاوة لسانه، بالرغم من قلة كلامه. لم يكن من الصعب على الأسرة اتخاذ قرار الموافقة على خليل، حيث إنهم كانوا يعتبرونه واحدا من العائلة، ولم يكن ينقصه إلا صفة تسند إليه فى هذا البيت، حتى يتسنى له أن يعيش معهم.

لم تطر مى من الفرحة، ولكنها لم تحزن. كان خليل هو الأفضل بالنسبة لها، رغم إنها لم تغادر منزلها فى أى وقت ولأي سبب، إلا وعادت ومن خلفها سيدة تريد مقابلة امها لطلب يدها لأبنها أو أحد أقاربها. كانت مى تشتهر فى منطقتها بجمالها الجذاب، وحسن خلقها ايضاً، لذا كان يتهافت عليها الخاطبون، ولكن خظها جاء من نصيب خليل، الذى أحبها حباً كبيراً منذ أن رآها لأول مرة، وهى فى الخامسة عشر من عمرها، ومنذ تلك اللحظة ولم يستطع إيقاف دقات فلبه كلما لمحها.

تمت خطبتهما، وظلا ستة أشهر يذهبان إلى محلات عديدة لشراء ما يلزم بيتهما الجديد. كانت مى فى البداية تتعامل بهدوء، كعروس تشترى اشياءها فحسب، ولكن بعد مرور وقت قليل، أحست بقلبها يخفق، خاصة فى ذلك اليوم الذى أصر خليل على دعوتها لتناول الكريمة المثلجة، على الرغم من برودة الجو، حيث كانا فى شهر يناير. ولكنا تقسم حتى اليوم، انها كانت ألذ كريمة مثلجة تناولتها فى حياتها. وما إن امسكت بالعلبة فى يدها، حتى انهمر المطر وأغرقها وأغرق خليل، فما كان من خليل إلا أن امسك يدها واخذا يعدوان تحت المطر، وهو يقفز معها كالأطفال. ومنذ ذلك الحين، وقعت مى فى غرام المطر.. وغرام خليل أيضاً.

فتحت مى عينيها على صوت ابنتها، وهى تخبرها ان المطر قد توقف، وتسألها أن تغلق النافذة، لأن الجو بارد عليها. ولكن مى طلبت منها الانتظار قليلاً، فالجو رائع، وهى لم تشبع بعد. تعودت فاطيما على أن تجد النافذة مفتوحة على مصرعيها وقت هطول المطر، فهذا مشهد مألوف فى البيت منذ طفولتها، وصارت تدرك عشق امها لهذه المياه، حتى ولو قطرات قليلة يمن الله بها علينا من السماء.

أراحت مى رأسها مرة أخرى، وهى تنظر إلى السماء الصافية، بعد أن أفرغت كل ما بداخلها من سحب، وكأنها إحدى اللوحات الفنية القديمة، وأخذت تفكر فى خليل وتتساءل:

هل حقا لن تراه مرة أخرى؟

هل انتهت العلاقة عند هذا الحد؟

إن علاقة مي بخليل انقطعت منذ أكثقر من خمسة وثلاثين عاماً. انقطعت منذ أن قررت ان تربى ابناءها وحيدة، دون تدخل هذا الرجل البائس المتعلق بكل ما فى الدنيا، العاشق لأمواله إلى حد الجنون.

تحملت مى بخل خليل عشر سنوات.. نعم عشر سنوات، استطاع خلالهم ان يستنفذ كل شئ حلو لديها.. طاقة، حب، سعادة، مشاعر.. وأموال أيضاً؛ فهى لم تكن تريد ان يشعر أحد أبنائها بأنه أقل من أصدقائه، لذا كانت تفعل المستحيل لإسعادهم. إنها حتى لم تسع إلى الطلاق، ولكن فضلت الانفصال دون طلاق، فهى لم تكن تفكر فى الزواج مرة أخرى. إنها مكتفية بأبنائها، ولا تريد اى شخص يشاركهم هذا الحب. وبالفعل، أعطتهم بدون حساب، وانفصل عنهم خليل، ولكن تعود زيارتهم أسبوعياً، وكانت ترحب به، مثله مثل اى ضيف. ولكنه كان يكتفى بالزيارة وكأنه ضيف فعلا، لا يحاول السؤال عن مصروفاتهم ولا دروسهم، وهى لم تحاول إقحامه فى مشاكلهم، واعتمدت على نفسها وعملها، وبعض الاموال التى كان يعطيها اخواتها لأبنائها بحجة شراء الحلوى، والتى كانت مبالغ كبيرة بالنسة لطفل سيشترى حلوى.

اليوم، وبعد انفصال دام لكل هذه السنوات، مات خليل.. مات الحبيب، الذى رغم كل أفعاله فهى تعشقه. تذكرت كل شئ وكأنه أمس.. اطالت النظر إلى السماء وانهمرت الامطار مرة أخرى، وكأنها تودعهما..

تودع مى وخليل.

***

إدمـان

تستيقظ فى الصباح، لا يمكن أن تبدأ يومها بدونه، فهو أهم شئ فى حياتها. وإذا استيقظت يوماً ولم تجده، تشعر باكتئاب، ويظل اليوم أسود إلى أن يغلبها النعاس ليلاً، وتهرب بانلوم من ذلك الإحساس الموجع التى تشعر به بدونه..!!

هو من يصنع يومها..

من يحفزها على الاستمرار فى العمل..

هو من يجعل ليومها طعما، وإذا تخلى عنها، أو لم يكن موجوداً، من الممكن ألا تذهب إلى عملها، فهو من يعطيها الطاقة التى تجعلها تبتسم وتتحمل سخافات العملاء، والزملاء أيضاً.

يجعلها تتحمل القيادة التى تكرهها

تفتقده أثناء ساعات العمل..

تشتم رائحته أينما ذهبت

ولما لا، وهى باتت تعشقه ولا تستطيع الحياه بدونه

فإن حياتها معه لذيذة.. بطعم السكر.. ودائماً..

"مظبوطة"

وبدونه سادة مرة.

إنه فنجان القهوة

عشقها الاول والأخير!

من أجلك

جلست راوية على مقعدها المفضل أمام التلفاز، وهى لا تعى اى شيء من الفيلم المعروض على إحدى القنوات الفضائية، وقد هامت فى خليط من الأفكار والمشاعر المتناقضة. استرجعت ما مر عليها خلال آخر خمسة أعوام.

راوية فتاة جميلة، فى الثالثة والعشرين من عمرها، تعيش مع أب طيب وأم ذكية وزهرتين غيرها، هى أكبرهن.

أسرة طيبة بسيطة، يعمل الأب فى إحدى الشركات الاستثمارية، التى كانت تدفع له راتباً لا بأس به، يكفى احتياجاته هو وزوجته، التى تعمل مدرسة تربية فنية فى إحدى المدارس الخاصة، وبناته الثلاث اللائي يعشقهن إلى حد الجنون.

ثلاثة أعوام مروا فى حياتها، رأت نفسها وهى عائدة فى أول يوم لها بالجامعة.. تذكرت هاتين العيني اللتين طالما لاحقتاها يومياً، خلال ذهابها وإيابها من دروسها الخصوصية، أثناء تلك الكائثة التى يمر بها من هم فى عمرها فى مجتمعنا: (الثانوية العامة).

عينان كانتا تخترقان كل جزء فى جسدها، وتستقران على بعض الاجزاء، وكأنها تسجل الاختلافات اليومية التى تحدث لها خلال هذه المرحلة العمرية.

تذكرت كيف حاول صاحب هاتين العينين التقرب لها، تارة بمحاولة التحدث معها، وتارة اخرى من خلال إحدى صديقاتها المقربات، بعد فشل محاولاته فى الوصول إليها. كان يظن أنه فشل، ولكنها كانت بالفعل أحسست بشئ يجذبها إلى هذا الكيان، الذى لا يكل ولا يمل من محاولة لفت نظرها، ولن تنسى طيلة حياتها ذلك اليوم فتحت فيه باب شقتها فى الصباح، وهى ذاهبة إلى مدرستها، ووجدت باقة من الورود من اروع الباقات التى وقعت عليها عيناها فى حياتها، من حيث حجمها وتناسق ألوان زهورها. كانت هذه أول مرة تشعر

بأنها منجذبة فعلا إلى فؤاد، الذى كانت تثق مائة فى المائة انه صاحب هذه الباقة، التى جعلت يومها من أروع الأيام التى عاشتها، منذ أن أدخلت أول نفس فى صدرها من هذا العالم العجيب الملقب بالحياة.

لم تكن رواية تعى حجم المشكلة التى تعانى منها، حيث كانت دماء مراهقتها لا تزورها إلا نادراً كل عدة شهور؛ ولكن أمها كانت تعلم جيداً أن هناك كارثة ستواجهها فى حياتها، حيث إن الطبيب أخبرها أنه من غير الممكن أن تصبح رواية أما يوما ما. صدمت الأم، وأخبرت ابنتها بالحقيقة كاملة.

لم تشعر راوية بحجم المشكلة.. فتاة فى الثامنة عشر من عمرها، بالتأكيد لا يضيرها سماع أمر كهذا. كانت تهتم بالحياة.. بالقراءة.. بالموسيقى وحضور حفلات ساقية الصاوى أو مسرح الجنينة. كانت تعشق برنامج التنورة بوكالة الغورى، ولم يكن من اهتماماتها أن تصبح أما وتربى أطفالاً. صغر سنها هو ما جعلها غير مهتمة، ولكن الأم كانت ترى مستقبلاً يحمل المشاكل التى ستواجهها ابنتها، وكانت دائماً تضع خططا لابنتها، حتى تتزوج الشخص المناسب، إما أن يكون لديه أطفال من زوجة سابقة، او يكون هو أيضاً عقيم، أو لا يريد أطفالاً لأى سبب من الأسباب. وكانت دائماً ما تفسد راوية خططها، تارة بسذاجتها المعهودة، وأخرى متعمدة، حتى جاء اليوم الذى أخبرت فيه راوية أمها إنها على علاقة بشاب يسكن فى البيت المجاور..

صرخت الأم:

– فؤاد طبعاً

– ايوة، ماله فؤاد يا ماما؟

– مالوش يا حبيبتى بس مش مناسب ليكي

– ليه بس؟ ده شاب متعلم ومثقف وبيحبنى من وأنا فى ثانوية عامة، يعنى من 3 سنين، وكل الدنيا عارفة، وأنا دلوقتى فاضلى سنة واتخرج. نعمل خطوبة ونتجوز بعد البكالوريوس

– أنتى بتستعبطي يا راوية! مانتى عارفة ان رافضة ليه

– يا ماما يا حبيبتى فؤاد عارف ومش مهتم ومش عايز أطفال

– ازاى مش عايز اطفال؟ وفين أهله؟ تفتكرى أمه هتسكت؟

يا بنتى أنا مش عايزاكى ترجعيلي بعد سنة مطلقة، ولا جايالي قلبك محروق عشان اتجوز عليكي

– لا ما تقليقيش.. عشان خاطرى يا ماما وافقى وكل حاجة هتبقى تمام لم توافق الام، وظلت طوال العام الدراسي الأخير لروية ترفض التحدث، كلما حاولت ابنتها مناقشة الأمر مرة أخرى. وانتهى العام الدراسي، ولم تصل رالوية لحل مع أمها، وجلست راوية بالبيت شاردة طوال الوقت، لا تتحدث إلا بالكاد. حتى كتبها ورواياتها اهملتها، وجلست امام افلامها المفضلة لا تسمع ولا ترى.

جلست راوية على مقعدها المفضل امام التلفاز، وهى لا تعى أى شئ من الفيلم المعروض على إحدى القنوات الفضائية، وقد هامت فى خليط من الافكار والمشاعر المتناقضة، تفكر فى كل ما مضى. وفى حبها الكبير لفؤاد، الذى ضاع وتحطم على ضخرة المجتمع السطحى الذى يعيشان فيه، بأفكاره البالية المتعفنة. وفجأة، أفاقت من شرودها على صوت جرس الباب، الذى لا يتوقف! هرعت إلى الباب وفتحته، فوجدته أمامها ممسكاً بورقة فى يده..

همست وهى تلتفت خلفها من أمها:

– فؤاد!

أجابها بقوة وثقة:

– ايوة فؤاد.. فؤاد اللى هيبى جوزك خلاص

نظرت اليه بنظرة متعجبة فرحة:

– جوزى! ازاى؟

دلف إلى داخل المنزل، وجلس بثقة على مقعد كبير فى منتصف الصالون، ونظر إليها وقال:

– اندهيلي ماما يا شاطرة

تلتفت حولها وقالت:

– انت أكيد مجنون! قوم يابنى هتفضحنى

وفى هذه اللحظة، وجدت راوية أمها أمامها، قادمة من خلف فؤاد، فساد الصمت إلا من مزاح فؤاد، الذى ظل يمزح ويمرح ويقول:

– يلا يا حلوة روحى هاتيلي حاجة اشربها، واندهلى ماما عشان فى كلام كبار لازم نتكلم فيه

انتفض فؤاد على المقعد، عندما سمع صوتاً صارماً من خلفه:

– ايه التهريج ده؟ فى إيه؟ انت بتعمل إيه هنا يا فؤاد، وما خدتش ميعاد ليه عشان تقابلنى؟ حد يزور حد فجأة كده؟

تلجلج فؤاد فى الرد، وظهرت بعض قطرات الماء على جبهته وقال:

– أنا آسف يا فندم والله، بس من فرحتى ماقدرتش أستنى لحد ما اتكلم مع حضرتك

– خير يا ابنى فى إيه؟

– بصراحة يا طنط، انا ما استلمتش لقرار حضرتك، وقررت إني ألاقى حل يرضى جميع الاطراف، فقررت انى أراسل أكبر مستشفيات الخصوبة فى العالم، وفعلا بعت كل التقارير الخاصة برواية لأكتر من مستشفى، كلهم ردوا عليه نفس الرد تقريباً، أن فى أمل، والموضوع مش مستحيل، وأن فى حالات كتير زيها بالعلاج والمتابعة رجعوا طبيعيين ودلوقتى كونوا أسر وعندهم أطفال ومتنكدين آخر نكد الحمد لله

ضحكت الأم، بعد ان كانت فى قمة التركيز مع كلام فؤاد. قالت له:

– يا فؤاد يا حبيبي أنا عايزة مصلحتكم. أنا مش رافضاك.. أنا رافضة المبدأ. انتو مش هتفضلوا بإحساسكم ده على طول، هيجي اليوم اللى هتحس فيه انك لازم تبقى أب

– يا طنط اسمعيني، خلاص ربنا بعتلنا الحل. فى مستشفى منهم بعتتلى ايميل النهاردة وبلغونى أن الدلكتورة الآن جيمس جاية مصر فى زيارة لمدة شهر،

وانها هتكون موجودة فى مستشفى القصر العيني، وهتستقبل أكبر عدد ممكن من المرضى، وأنا خلاص حجزت ميعاد لرواية. ارجوكى يا طنط سيبينا نحاول

نظرت الأم له نظرة تدل على عدم اقتناعها الكامل، ولكنها صمتت قليلاً ثم همهمت:

– طيب.. نحاول

هرعت إليها راوية، واحتضنتها وقبلت رأسها وكفيها، وشكرتها على الموافقة

– ربنا يخليكي لينا يا ست الكل

***

جلست الأم بجانب الأب فى غرفة نومهما، وروت له ما حدث. جاء رده بطيبته المعهودة:

– وماله يا ام راوية.. سيبيهم يحاولوا. احنا يهمنا إيه غير سعادة بنتنا، مش يمكن ربنا يكرمهم ويفرحوا ويفرحونا معاهم رفعت الام يدها إلى أعلى تناجى ربها:

– ربنا يجبر بخاطرك يا راوية يا بنتى

***

وقفتا راوية وأمها بجانب فؤاد فى اروقة مشفى قصر العينى، وبدا على راوية التوتر. لم يكن توترها بسبب رغبتها فى طفل، ولكنها كانت تريده حتى يكون مفتاح حياتها مع فؤاد.

انتفضت فور سماع صوت الممرضة تنادى اسمها. رفعت راوية يدها وقالت: نعم

جذبها فؤاد من يدها بطريقته المرحة وقال:

– يلا ياختى.. بترفعى اديكي! هما ندهوا اسمك فى امتحان الشفوى

ضحكت راوية من طريقته هذه المحببة إلى قلبها وأجابته:

– بطل بقى..ما توترنيش اكتر مانا متوترة

دلفوا ثلاثتهم إلى داخل غرفة الكشف، وحيوا الطبيبة وجلسوا أمامها. أمسكت الأخيرة بالمظروف، وأخرجت بعض التحاليل والأشعة، ونظرت إليهم وتحدثت باللغة العربية الفصحى:

– أرى ان تاريخ هذه الفحوصات منذ تسعة اشهر تقريباً، لذا سوف اكتب لكم بعض الفحوصات الجديدة، والتى تتأثر بمرور الوقت، حتى نتأكد من مرحلة المرض واين نحن الآن منه

أحست راوية بارتياح للطبيبة، وتبادلنا ارقام الهواتف المحمولة، واتفقتا على ميعاد جديد.. وبمجرد أن غادرت راوية المشفى، أحست أن بداخلها طاقة كبيرة.. إنها متحمسة جداً لإجراء الفحوصات المطلوبة وتريد أن تذهب الآن إلى أقرب معمل للتحاليل الطبية إنهائها. وتريد ان تعود بأقصى سرعة إلى الطبيبة.

بالفعل، أنهت راوية جميع الفحوصات المطلوبة، وذهبت فى الميعاد للطبيبة. نظرت الاخيرة فى الأوراق وابتسمت ابتسامة رضا وقالت:

– أصدقائى. إن المرحلة لا بأس بها، وأعتقد ان خلال ستة أشهر من الآن قد اقول لكم إن راوية إنسانة طبيعية، يمكنها ان تمارس حياتها الخاصة بشكل طبيعي، وتصبح أما لأكثر من طفل، لا طفل واحد.

صرخت الأم بفرحة، وقامت من مقعدها واحتضنت الطبيبة وأغرقتها بالقبلات. جذبها فؤاد من يدها، واجلسها مرة اخرى على مقعدها، ونظر إلى راوية وقال مازحاً:

– شوفى الست والدتك.. يا حاجة هتفضحينا، الست ممكن تفهمها غلط

أطلقت راوية ضحكة عالية، وشكرت الطبيبة وأخبرتها إنها على أتم الاستعداد لبدء رحلة العلاج.

***

بدأ جسد رويدا ينتفخ قليلاً، متأثراً بالعقاقير التى تتناولها. ومر شهر تلو الآخر وهى على اتصال بالطبيبة فى بلدها، وترسل لها الفحوصات الشهرية التى تقوم بها. إلى أن أخبرتها الطبيبة بشئ لم يكن فى حسبانها، ولكنه اسعدها جداً. قالت لها إنها قطعت شوطاً كبيراً فى العلا، ولكن المرحلة المتبقية لن تستطيع استكمالها إلا وهى متزوجة. أخبرت فؤاد بما دار بينها وبين الطبيبة المعالجة، ففرح فؤاد وقال ردا على كلام راوية أن أمها لن توافق:

– ما توافقش ليه؟ ده علاج هو إحنا بنلعب

– بطل بكش يا فؤاد.. أنا فاهماك كويس

– يا ستى ماشي انا عايز اتجوزك.. حصل حمل محصلش حمل دى حاجة بتاعة ربنا. ليه بقى نعقد الدنيا؟ وكمان اهل الخبرة قالوا لازم تتجوزا، اعمل ايه تانى؟

***

نظرت لهم الأم نظرة مريبة وقالت:

– وانا اضمن منين إنكم مش بتضحكوا عليا؟ ما يمكن الدكتورة قالتلكم أن مفيش امل وانتوا اخترعتوا القصة دى عشان تتجوزا

نظر فؤاد إلى راوية وقال مازحاً:

– تصدقى فكرة يا راوية.. ليه مفكرناش فيها من بدرى اخفت راوية ضحكتها، ونظرت إلى أمها، وسرعان ما تلاشت الضحكة حيث رأت ملامح أمها غاضبة، فنظرت إلى فؤاد أن يهدئها وأنه ليس وقت مزاح. فهم فؤاد انلظرة، وتحرك نحو أمها ووضع يده على كتفها وهمس بحب حقيقي:

– يا طنط والله الكلام ده حصل.. وانا ممكن اوريكى المحادثة اللى بين راوية والدكتورة. ويا ستى خلي اى حد غيرنا يترجمهالك نظرت الأم نظرة شك وريبة إلى راوية وفؤاد.. وجلست على مقعدها وظلت صامتة.

***

انتهت مراسم كتب الكتاب، واصبحت راوية زوجة فؤاد رسمياً. وبدأت راوية رحلة جديدة من العلاج، وبدأت الطبيبة تطلب منها إقامة العلاقة الزوجية بينها وبين فؤاد بمواعيد محددة. وجاء اليوم الذى اخبرت فيه الطبيبة راوية أن بناءً على نتيجة آخر فحوصات قامت بها، فهى إنسانة طبيعبة، ويمكنها ان تنجب، وما عليها الآن إلا ان تمارس حياته بشكل طبيعي مع زوجها، ما التزامها بإقامة العلاقة الجنسية بينهما فى مواعيد التبويض، والتى تكون نسبة حدوث الحمل فيها أعلى من أى وقت آخر.

بالفعل، التزمت راوية بكل تعليمات الطبيبة، ومر الشهر تلو الآخر، ولم يحدث حمل! لم يكن فؤاد قلقاً بالمرة، بل كان القلق يتسرب يوماً بعد يوم إلى قلب راوية. كانت كل يوم تحلم بطفلها الرضيع. كانت تختار أفضل الاسماء للذكور والإناث، حتى تحدده عندما تعلم نوع المولود. ولكن كانت شهرياً، ومع شعورها بآلام الحيض، ينتابها الإحباط والياس،

وتعلم أن الحمل لم يحدث. صارت تعيش حلمها، لدرجة انها كانت دائماً تتصور أن الحمل حدث بالفعل، وان هذه الدماء هى سقوط المولود من رحمها.

***

لم يجد فؤاد تفسيراً لحالة راوية، فهى لم تعد مهتمة إلا بالحمل والولادة، وكأن وجود مولود بينهما هو كل الحياة. كان يريد ان يخفف عنها كل هذه الآلام النفسية، فأجرى اتصالا مع الطبيبة المعالجة، فاخبرته أن هذه تغيرات طبيعية، وعليه ألا يشغل نفسه بهذه المشاكل الصغيرة، ولابد ان يساعدها على الخروج من هذه الحالة، حيث إنه من المهم ان يعيشا حياتهم بشكل طبيعي، وهذا جزء من العلاج.

***

أضاء فؤاد جهاز الحاسب المحمول الخاص به (لاب توب) وأمسك به، وذهب إلى مقعده المفضل فى ردهة المنزل. جلس يقرأ حديثه مع الطبيبة مرة أخرى. لم يشعر باقتراب راوية منه، إلا وهو يسمع صوتها تقول:

– بتكلم مين يا فؤاد

– أبدا مش بكلم حد يا حبيبتى

– امال التشات ده كله مع مين

– اقولك بس متزعليش منى؟

نظرت له راوية بشك وريبة، واقتربت منه وقالت شبه راحجية:

– لا مش هزعل

– الله! مالك قلبتيها دراما ليه؟ انتى متخيلة انى ليا غيرك فى الدنيا؟

– طب بتكلم مين؟

– الدكتورة الخواجاية بتاعتك

ارتاحت قليلاً إجابته وتساءلت:

– وبتتكلموا فى ايه بقى

– بصى.. أنا هديكى اللاب توب وتقعدى كده براحتك تقري الكلام، لحد ما اقوم أعملك شاى

أمسكت راوية بالجهاز فى يديها وكأنها تحتضنه.. كانت خائفة أن يبتعد عنها زوجها، أو يفكر بالزواج من أخرى.. لكأن مخاوف امها لسنين طويلة قد زرعت فيها.

قرات راوية المحادثة كاملة، وأعادت قراءتها مرة أخرى. فى ذلك الوقت، كان يراقبها فؤاد من بعيد، وعندما لمح ابتسامتها أسرع إلى المطبخ وأحضر لها كوبا من العصير وذهب إليها:

– العصير لست الكل

نظرت له ضاحكة:

– هو انت مش قلت هتعمل شاى؟!

***

حاولت راوية ان تنسى الموضوع، وتعيش حياتها بشكل طبيعي، طاعة لتعليمات الطبيبة. وبالفعل، بدأت تندمج فى حياتها، واهتمت اكثر ببتها وزوجها، ورتبت العديد من الرحلات. ولكن مر عام كامل على زواجها ولم يحدث حمل. ذهبت لإجراء فحوصات جديدة، وأرسلتها إلى الطبيبة، وتعجبت جدا الطبيبة وقالت لها إن النتائج سليمة، ولا يوجد ما يمنع الحمل، وعليها ان تخبر زوجها بعمل فحوصات هو الآخر، حتى يتسنى لها إصدار الحكم النهائي فى حالتها.

أسرعت راوية إلى زوجها، واخبرته برأى الطبيبة. نظر إليها فؤاد نظرة بلهاء وقال بمرح:

– تفتكرى يا راوية بعد كل ده اطلع انا اللى مش بخلف؟

ضحكت راوية، وأمسكت بكتفيه وقالت بطريقة تمثيلية:

– ما تقولش كده يا فؤاد.. أنا مش ممكن أتخلى عنك

وانتابتهما نوبة ضحك شديدة، واحتضنها ووضع قبلة حانية على شفتيها.

***

جلسا الاثنان امام جهاز الحاسب يتحدثان صوتا وصورة مع الطبيبة، ولا يصدقان ما يسمعانه. بالفعل، فؤاد غير قادر على الإنجاب. وبعد عدة فحوصات، من أشعات وتحاليل طبية، تبين أنه يعانى من عيب خلقى فى الخصيتين يمنعه من الانجاب، ولا يوجد علاج.

أغلقت راوية المحادثة، وجذبت فؤاد إلى حضنها وقالت:

– خلاص يا فؤاد خلاص.. إحنا فعلا مالناش غير بعض

– راوية.. انتى من حقك تتجوزى حد تانى وتخلفى الطفل اللى نفسك فيه

– أنت مجنون! نفسى فيه إيه وبتاع إيه.. انا كان نفسى فيه منك انت وعشانك انت

ثم قالت مازحة وهى تقرب وجهها من وجهه:

– أنا مقدرش اعيش من غيرك يا فؤش

دمعت عيناه وهو يطبع قبلة على شفتيها، ثم احتضنها بقوة:

– بحبك

***

بيت المغاربة

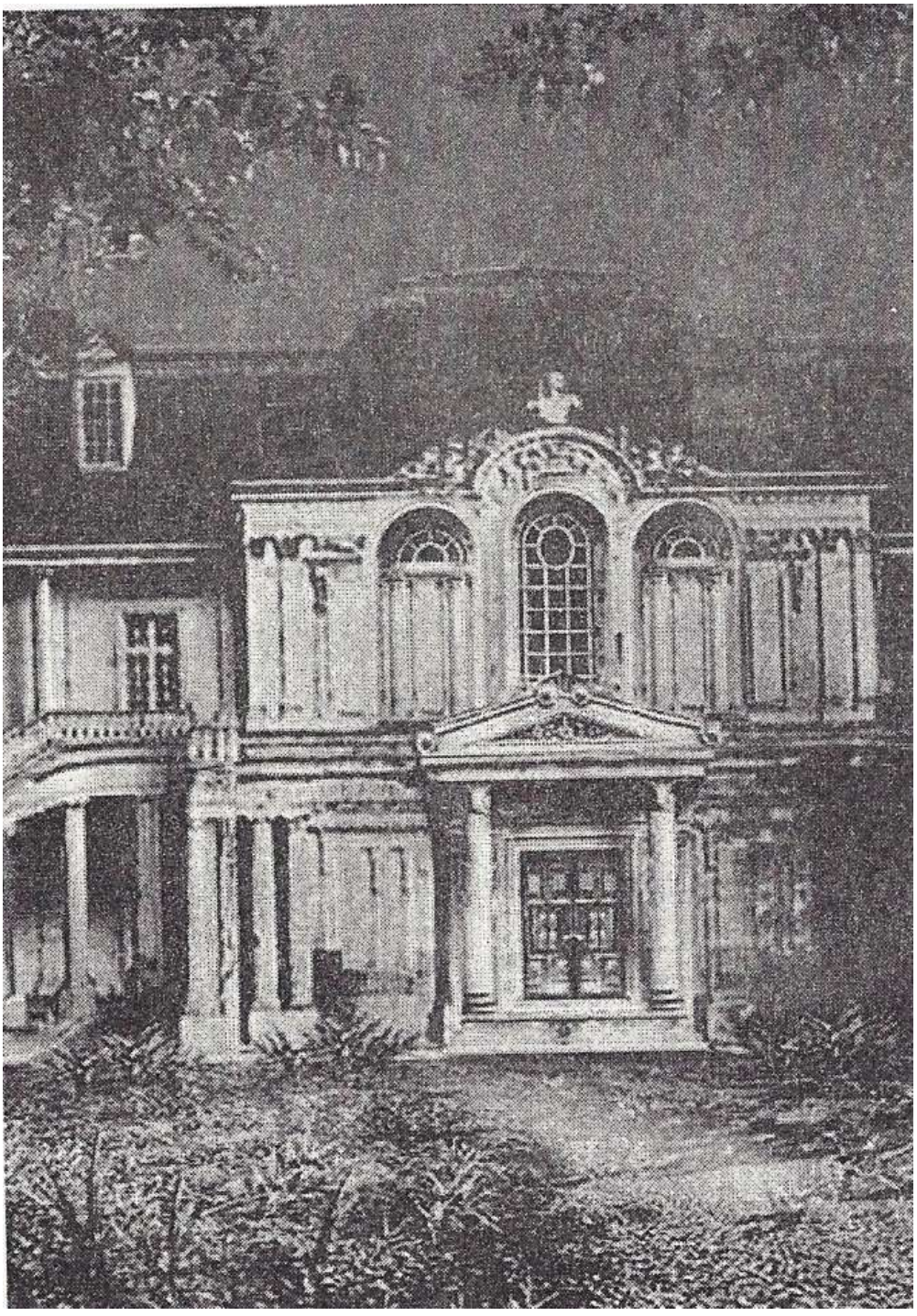

الحياة ما هى إلا بضعة أيام تجرى ببطء، ممزوج بسرعة داخلك تحتضن صراعاتك، تشعل مشاعرك نارا لا تهدأ، تأخذك من ساعة إلى يوم إلى شهر إلى اعوام كثيرة، تنتهى بدقات سريعة بقلبك سرعان ما تهدأ وتقف.. وكأن شيئاً لم يكن!

انتهى جابي من كتابة الخاطرة التى أخذت تدق فى رأسه، ووضع قلمه على كراسته الزرقاء البالية، التى يحتفظ بها منذ أن كان مراهقاً فى الرابعة عشر من عمره، والتى اعتاد ان يدون بها كل ما يدور فى رأسه.

جابي وسيم، سقطت الورقة السادسة والعشرون من عمره فى منتصف شهر نوفمبر من هذا العامن يعمل رساماً، وكذلك يعمل على تحضير رسالة الدكتوراة. دقت أجراس وطبول وحدثت ضجة فى قلبه، منذ أن وقعت عيناه على تلك الفتاة الرقيقة التى كانت تحمل حقيبة صغيرة بها لاب توب، وتقف أمام المصعد تنتظره حتى يحملها غلى شقتها..

دخلا المصعد.. ضغط على زر الدور الخامس، الذى تقع فيه الشقة الجيدة التى قام بتاجيرها صباح اليوم، ونظر إليها وقال:

– طالعه الدور الكام؟

بمنتهى الهدوء والرقة ردت:

– الخامس

الخامس؟

– أنتى قريبة أستاذ محمد عبدالحميد المحامي؟

ردت عليه متعجبة:

– اه عمي

ضغط جابي على زر الدور الخامس، ونظر غليها وهو مبتسم ابتسامة عريضة، جعلتها تنظر إلى الأرض خجلاً، حتى توقف المصعد، فخرجت منه على عجل. ضحكم ضحكة عالية وقال:

– يااااااااا نوال.. أنتى نزلتى غلط، إحنا فى الدور الثالث نظرت خلفها متعجبة لمعرفته باسمها، ولم تجبه، واستمرت فى العدو حتى وصلت إلى السلم، وصعدت على قدميها. خرج هو بدوره من المصعد، وشعر بشعور غريب بداخله، ومنذ ذلك اليوم وهو يتابعها فى كل خطوة تخطوها خارج شقتها.

صعدت لها اعتدال بعين مرتابة وسألتها:

– أوعى يكون ضايقك؟

– لا أبدا يا اعتدال.. ده ظريف قوي

نظرت إليها اعتدال نظرة ذات مغزى، وقالت:

– ظريف ازاى يعني؟ بقولك إيه يا نوال، إحنا عندنا ثانوية عامة ماتجبيش مجموع كلية الإعلام اللى أنتى بتحلمى تدخليها، وكمان عمك هياكل وشي.

– ما تخافيش يا حبيبتي.. أنا مستحيل اي حاجة تعطلني عن المذاكرة، ده حلم عمري أدخل كلية الإعلام.

– يبقى مالناش دعوة بقى بسي رشدي اباظة اللى طلعلنا فى البخت ده.

– حاضر ماتقلقيش.

وضعت نوال قبلة على خد اعتدال، ثم دخلت إلى ولا تزال صورة ذلك الشاب امام عينيها. ولكن سرعان ما نفضت عن عقلها تلك الافكار، وأخذت تفكر كيف ستكون حياتها العملية بعد تخرجها من كلية الإعلام رأت نفسها فى مؤتمر صحفى لأحد الوزراء، ثم انتقل خيالها للشارع، فرأت نفسها مراسلة لأحد البرامج الحوارية، وارتسمت على شفتيها عريضة وهى ترى نفسها مذيعة كبيرة، تستضيف أحد الأدباء الكبار. ورأت أيضاً حلمها الكبير يتحقق، وهو ان تحصل على البيت الموجود أمام البناية التى تسكن فيها، والمعروف بالمنطقة باسم بيت المغاربة، لأنه كانت تسكنه أسرتان، الاولى مغربية والأخيرة مصرية. كانت منذ صغرها تحلم ان تحصل على البيت، وتتمكن من عمل مشروعها، وهو مجمع ثقافي كبير تبيع فيه الكتب ولوحات فنية وأعمال يدوية كالتى تصنعها، وتقيم به معارض وحفلات توقيع. ولكن المشكلة التى تواجهها ان البيت وقعت به جريمة قتل غريبة جداً لجميع سكانه، جعلته مغلقاً كئيباً ويطلقون عليه الشائعات أنه مسكون بالجن والعفاريت. ولكن ظل بداخلها يقين أنها تستطيع ان تصنع منه جنة ثقافية.

اعتدال، إمراة أربعينية، تعمل خادمة بمنزل نوال منذ خمسة وعشرين عاماً. عاشت مع أمها وأبيها، قبل وفاتهم وتركهم نوال طفلة لم تكمل العامين من عمرها. وتولت اعتدال امرها، بعد ان رفض جميع افراد عائلتها استلامها وتحمل مسؤوليتها، حتى ولو طمعا فيها. لم يحن عليها سوى عمها، الذى وافق على تولى الولاية عليها، على أن تتحمل اعتدال مسؤولية تربيتها والإقامة معها. وقبلت اعتدال، وأعرضت عن فكرة الزواج والارتباط، وتفرغت لتربية نوال. وأصبح عمها مسؤولاً عن أملاكها، وساعده عمله كمحامى. والأملاك كانت عبارة عن شقتين بالدور الخامس، يعيشان فى واحدة، وتؤجر الاخرى.. واثنان من المحلات أسفل البناية، وبات يؤجرهما أيضاً، وينفق من عائد كل ذلك على نوال، ويضع المتبقى فى حسابها بالبنك. كانت اعتدال تحب نوال، وتخاف عليها حتى الجنون. وكانت تخرج يومياً

بعد المغرب، لكى تطعم عم سلطان بائع المناديل، والذى يظل أمام بيت المغاربة يبيع المناديل طوال اليوم، حتى يحصل على الطعام وينصرف

خرجت نوال غلى شرفة غرفتها، وجلست على المقعد الهزاز الموجود بها، وأخذت تتأرجح عليه كطفلة صغيرة، وهى مغمضة العينين. ثم فتحت عينيها، فوجدته أمامها! لم تصدق.. فاغمضت عينيها مرة اخرى، وفتحتهما لكى تتأكد. تأكدت انها لا تتخيل.. قامت من على المقعد واتجهت إلى سور الشرفة. ضحك وقال لها:

– مانتى لو كنتى استنيتي ومطلعتيش تجرى، كنت قلتلك انى جارك الجديد، وانى سكنت فى الشقة اللى جنبكم

– أنت فضلت تبصلي جامد قوى، وانا اتكسفت

– آسف مكانش قصدى. اصلك جميلة قوى

– همت بالعدو ناحية غرفتها، فضحك ضحكة عالية وقال:

– تانى هنطلع نجرى؟

وقفت فى مكانها، واعتدلت فى وقفتها، كأنها تستعيد هدوئها وقوتها، وقالت له:

– لا مش هجرى.. أنا مش هخاف منك

– إيه اللماضة دى.. ماشى يا عم الجامد

– أنت عرفت اسمى منين بقى؟

– من أستاذ محمد عبدالحميد وانا بأجر الشقة. قوليلي بقى انتى بتدرسي إيه؟

– انا فى ثانوية عامة

– يااااااااااا ده إحنا كبار قوي

– نظرت له بغيض وقالت:

– أنت بتتريق؟

– لا والله مش قصدى. أنا بقى جابي. بشتغل رسام، وحالياً بخلص فى الدكتوراه وهناقش قريب أن شاء الله

همت بان تقول شيئاً، ولكنها تذكرت كلام اعتدال:

"بقولك إيه يا نوال، إحنا عندنا ثانوية عامة ومافاضلش غير شهرين على الامتحانات، وانا معنديش استعداد انك ما تجبيش مجموع كلية الإعلام اللى انتى بتحلمى تدخليها"

نظرت له بحدة وقالت:

– تشرفنا يا جابي فرصة سعيدة

خم بان يرد عليها، لكنها كانت قد اختفت من أمامه، وتركته وهو متعجب من رد فعلها الغريب. ثم أفاق وقال لنفسه:

– إيه البت المجنونة دى؟

ثم قال وكأنه تذكر شيئاً:

– بس جميلة

مرت الأيام سريعاً، ينغمس جابي فى عمله ودراسته كل يوم، ويرى نوال وهى ذاهبة إلى مدرستها صباحاً. وكان إذا لم يجدها أمام المصعد. ينتظر حتى يسمع صوت شقتها وهو يفتح، فيجدها قادمة فيكتفى بالنظر إليها والاستمتاع بهروب عينيها من عينيه، حتى يصلا إلى الدور الارضى، فيفتح باب المصعد ويقول

– اتفضلى

وينتظر نظرة عينيها الأاخيرة وهى تخرج من المصعد، وكأنها تودعه وتعده بميعاد آخر.

جلست نوال على المقعد الهزاز فى شرفة غرفتها، وامسكت كتاباً لتذاكر. ولكنها أخذت تفكر فى جابي، الذى بات يحتل كل تفكيرها تقريباً.

أحست بقلبها يدق بشدة، واخذت تسال نفسها: هل هذا هو الحب الذى تقرأ قصصه وتعيش مع أبطالها حتى النهاية؟ هل الاحاسيس التى تجتاحها الآنهى الاحاسيس ذاتها التى كانت تقرأها على لسان بطلات روايات إحسان عبدالقدوس وعبدالوهاب مطاوع؟

فى نفس اللحظة، ارتمى جابي على سريره، وهو منهك تماماً، بعد أن انهى لوحة جديدة ضمن عدة لوحات اخرى مطلوبة من احد محلات التحف والانتيجات بالزمالك. نظر إلى ستائر الشرفة وهى تتحرك بفعل الهواء، وتذكر تلك الفتاة الجميلة التى اعتاد أن يراها كل يوم، ويوماً تلو الآخر اصبحت جزءاً من حياته، لا يستطيع بدء يومه إلا بعد ان يراها. افاق فجأة من شروده، حين لفت نظره ذلك المبنى المواجه لشرفته. كان عقار يبدو انه مهجور، يعم فيه الظلام، يتكون من اربع طوابق. لفت نظره ان هناك نافذة فى الدور الاخير، مفتوح منها جزء صغير! اخذ يركز بعينيه، حتى إنه – دون أن يشعر – قام من مكانه، ودخل إلى الشرفة، آخذ فى التحديق بالمبنى، حتى قاطعه صوتها تقول:

– ماتركزش مع المبنى ده عشان بيقولوا عليه مسكون نظر لها وقد فوجئ فى شرفة شقتها المجاورة. سالها بشرود وهو ينظر مرة ثانية إلى المبنى:

– مسكون أزاي يا نوال؟

– ياعم مسكون إيه بس.. انا بهزر. هو فى حاجة اسمها مسكون. ده بيتى وحلم عمرى القادم، ومش هسمح لحد يسكنه إلا كتب ولوحات، واعمالى الفنية

أحس ان هذا المبنى سيطر على تفكيره، واذهب عقله. سالها:

– لا بجد البيت ده مسكون؟

هزت كتفيها وتعلقت عيناها بالبيت وهى تجيبه:

– مش عارفة.. بيقولوا إن كان فى أسرتين ساكنين فيه، أسرة مصرية والتانية مغربية، وكانوا بيعملوا أعمال وأسحار، وكانت الناس بتجيلهم من آخر الدنيا، ومسمينه بيت المغاربة

– وبعدين؟

– فى يوم، سمع الناس هرج ومرج جوه المبنى. هم كانوا متعودين على الدوشة دى منهم فماحدش اهتم. وبعدين لقوا العمارة غرقانة دم، والأسرتين مقتولين كلهم، وقالوا بعد كده انهم كانوا بيحضروا جن، والجن قلب عليهم وخلاهم يقتلوا بعض

– يا سلام! وأنتى، مقتنعة بالكلام ده؟ طب مين اللى حكى انهم قتلوا بعض؟

– انا ما اهتمش اصلاً، أهى قصة من مليون قصة بتتحكى كل يوم. بس قالوا إن فى ولد من الأسرة المصرية.. شاب كده بتاع 20 سنة وقتها.. خرج يجرى زى المجنون،

وفضل يصرخ ويقول قتلوا بعض قتلوا بعض.. مسكوه الناس وهدوه وحكالهم اللى حصل، وإنهم حضروا عفريت خلاهم كلهم ينزلوا تقتيل فى بعض. بس اختفى تماما قبل ما الشرطة توصل

نظر جابي إلى المبنى نظرة طويلة، وعقله لا يصدق أى كلمة من كلام نوال.

فى الايام التالية، كان جابي ينام ويصحو وهو يفكر فيما روته له نوال. لكن لم يكن قد تبقى على مناقشة الرسالة إلا أيام، فحاول ان ينسى الموضوع ويركز فى المذكرة. مر الوقت، وأنهى المناقشة وحصل على الدكتوراه، ولكن لم يستطع ان ينسى حديث نوال عن ذلك المبنى المريب. كان جابي لا يصدق انه مسكون، وكان دائماً بقول لنفسه إنه لا يوجد شئ اسمه عفاريت، وأن ما حدث فى هذا المبنى ما هو إلا جريمة محكمة ولكن هكذا نحن دائماً، لابد ان ندخل التخاريف والجن والأعمال والسحر إلى أى شئ لم نستطع التوصل إلى حقيقته. لا نبذل مجهوداً فى التفكير، بل نلجأ إلى الحلول السهلة، وهى ان هناك أجساماً هوائية تصدر عنها أعمال خارقة للعادة.

انتهت نوال من الامتحانات هى الاخرى، وبدأت تستريح من المذاكرة، وقررت أن تخرج مع صديقتها مريم، التى لم ترها منذ ان انتهت الامتحانات. اتصلت نوال بها، واتفقتا على ان يتقابلا فى مقهى يقع بالقرب من منزلهما.

دخلت مريم المقهى، فوجدت نوال تجلس امام (اللاب توب) وهى مندمجة فى شئ ما، وكأنها تدبر لجريمة قتل، فوضعت يديها على كتفها وتحدثت بسرعة كى تخفيها

– بتعملي إيه يا بنت؟

– مريم! خضيتيني يا شيخه حرام عليكي

– إيه الاندماج ده كله.. ده انتى ما كنتيش بتذاكرى بالتركيز ده

– هتجنن يا مريم.. فى موضوع مجننى ومش عارفة اعمل فيه إيه

– إيه؟ اوعى الحليوه اللى ساكن جنبكم

– يا بنتى حليوة إيه بس.. الموضوع أكبر من كده بكتير

– خير قلقتيني!

روت نوال كل ما سمعته عن المبنى لصديقتها مريم، التى استمعت لها باهتمام وقلق، ثم اخذت تفكر جيداً قبل ان تقول:

– طيب انتى والحليوة ليه مش مصدقين ان الموضوع عفاريت وجن؟

– يا بنتى هو فى كده.. ده كله خزعبلات وأوهام

– بس السحر مذكور فى القرآن

– آه مذكور.. أنه كانوا بيعلموه عشان يفرقوا به بين المرء وزوجه.

وحتى ده مابقاش موجود دلوقتى لأن الناس القائمين بقوا كلهم دجالين ونصابين

– انا اعرف واحدة أول ما اتخطبت ابتدت تحس بآلام فى جسمها، وبدأ يجيلها كوابيس وأحلام مزعجة، وبعد كده اكتشفوا انها عليها جن بيحبها ورفض خطوبتها عشان كده جتلها الاعراض دى

– ايه يا بنتى الجو ده.. انتى بتهرجى! ازاى تصدقى الخرافات دى؟؟

– ده اللى سمعته

ساد الصمت بينهما، واخذتا تفكران، صديقتها مريم مقتنعة تماما ان المبنى مسكون، وتصدق أن هناك جن وعفاريت، وتؤمن بالسحر والأعمال، على عكس نوال التى ترفض الفكرة. ويوماً بعد يوم، يؤكد لها عقلها أن ما حدث بالمبنى ليس إلا جريمة، عجز رجال الشرطة عن حلها، ليس أكثر، فاضطروا لاختلاق الروايات الخيالية الكاذبة، حتى لا يتهموا بالتقصير فى عملهم. استراحت نوال لهذا التفسير، واقتنعت تماماً أن ما حدث هو جريمة، وحاولت ان تنسى الموضوع، وتعيش حياتها بشكل طبيعي.

حتى جاء يوم، استيقظت فيه نوال من نومها، على صوت شئ يرتطم بباب شرفة غرفتها. تحركت من سريرها إلى ان وصلت للشرفة، وفتحت بابها، فتلقت غطاء زجاجة مياه غازية فى وجهها، وسمعت صوت جابي يقول:

مش تخبطى قبل ما تفتحى البلكونة.. أهى جت فيكى اهيه أمسكت نوال الغطاء بيديها، وهى تقول بطريقة مرحة كعادتها:

– كازوزا! بتصحيني بكازوزا!

– مانا هعمل ايه يعنى.. كسلت انزل اجيب طوب من تحت

– طوب!.. لا الحمد لله على نعمة الكسل

ضحكا هما الاثنان، ثم نظر لها وقال:

– مبروك

– مبروك على إيه؟؟

وقبل ان يجيبها، لمعت عيناها وسالته بسرعة:

– النتيجة طلعت؟

– ايون

– كام.. كام المجموع.. كام؟

– والله مجموع مش ولابد.. بس ممكن يدخلك إعلام مستريحة 96% يابنت المحظوظة. إيه، أنتى ماكنتيش بتاكلى ولا بتشربى، مقضياها مذاكرة كده على طول؟

– الحمد لله.. 96%.. الحمد لله.. أحمدك يارب وأشكر فضلك وفى أقل من اللحظة، اختفت نوال من أمامه واندفعت إلى غرفة اعتدال. وجدتها جالسة على سجادة الصلاة تقرأ القرآن، فقالت لها

– اعتداااااال نجحت يا عتدال.. 96% يا اعتداااااااال.. نجحت يا اعتداااااال يا أحلى اعتدال فى الدنيا

– بالراحة يا بنتى عليا.. مبروك يا حبيبتى ألف مبيروك. انتى عرفتى النتيجة منين؟! صمتت نوال، واختفى لمعان عينيها، وتلجلجت، ولم تعرف كيف ترد عليها. ثم نظرت لها وقالت:

– جابي

نظرت اعتدال لها باستغراب وتساءلت:

– جابي؟

– أه يا اعتدال.. جابي جارنا جابلي النتيجة

نظرت اعتدال لها نظرة ذات مغزى، وقالت:

– انا مش هضيع عليكي فرحتك بنجاحك.. بس لينا قعدة مع بعض يا ست هانم

– امرك يا اعتدال يا أحلى اعتدال فى ادلنيا

عمت الزغاريد والاغنى المعبرة عن الفرحة بالنجاح، وامتلأ البيت كل يوم بالمهنئين، وتلقت نوال الكثير من الهدايا والأموال من الأهل والأقارب. وبدون تفكير، كتبت رغبتها الاولى كلية الإعلام قسم إذاعة وتليفزيون وتحقق حلمها بالفعل والتحقت بالكلية التى كانت تحلم بها.. كلية الإعلام جامعة القاهرة.

التحقت مريم بكلية آداب قسم آثار بنفس الجامعة. وبدأت الدراسة، وذهبت نوال ومريم معا فى أول يوم لهما فى الحياة الجامعية. كل شئ جديد عليهما. لم يعد هناك زى موحد، ولا جرس يعلن عن بدء الحصص الدراسية او انتهائها. أحست نوال بالحرية، وبالمسئولية أيضاً، ومنذ اللحظة الاولى لها، أدركت – على غير عادة اى طالب بالسنة الاولى بالجامعة – أنها مسئولة. أحست بمسئولية تجاه نفسها، وتجاه صديقتها أيضاً، حين قرات فى عينيها الانبهار بالعالم الجديد المسمى بالجامعة، حيث لا قيود، لا مدرسين غاضبين بسبب وبدون، لا أبواب مغلقة ومواعيد. أحست ان عليها واجب الحفاظ على صديقتها المبهورة، وإفهامها ان الكلية ما هى إلا مدرسة، ولكن مطعمة ببعض الحرية الواجب احترامها، حتى لا تضيع من يديك.

***

عادت نوال يوماً من الكلية، ومعها صديقتها مريم، الطامعة فى أكلة المسقعة باللحم المفروم، التى وعدتها بها اعتدال. وبعد انتهائهن من الوجبة اللذيذة، اختلت الصديقتان فى الشرفة يحتسيان الشاى. سحبت مريم رشفة من كوبها وهى تنظر إلى البيت المخيف، وسالت صديقتها بمرح:

– مفيش اخبار عن البيت الملعون بتاعك؟

– انا بفكر أدخله

وجاء صوت جابى من الشرفة المجاورة:

– وأنا كمان بفكر أدخله.. انوى كده وأنا معاكى

صصرخت فيه مريم:

– ده بدل ما تعلقها

ونظرت إلى السماء وقالت:

– ليه ياربى توقعنى فى اتنين مجانين

ثم نظرت إلى جابي بإعجاب، وأمالت راسها إلى الجانب الأيمن لتتطلع إلى وجهه بشكل أوضح وقالت:

– لا بس حليوة حليوة يعني

وضعت نوال يدها على فم مريم، ونظرت إلى جابي قائلة:

– سيبك منها دى مجنونة اصلاً واحنا عادة مابناخدش على كلامها

وضحك جابي ضحكة عالية.

***

وقف جابي عند عم سلطان بائع المناديل، يحاول معرفة أى شئ عن البيت، يروى له سلطان كل ما يعرفه عن البيت، ويؤكد أنه مسكون بالعفاريت، ويروى له أنه فى إحدى المرات حاول دخوله ليبيت فيه، حيث كان مريضاً ولم يقو على المشى إلى بيته.. ولكنه سمع أصوات صراخ عالية، ولم يستطع أن يكمل، وغادر البيت جريا. إنه يجلس هنا فى النهار فقط، ولا يستطيع أن يبقى ليلاً لخوفه من الاشباح.

ثم نظر إليه نظرة طويلة، كأنه فهم ما يفكر فيه، وقال له:

– يابنى الدنيا دى زى البنى ادمين بالضبط، ليها أسرار.. لما بتحاول تعرفها غصب عنها، بتقلب عليك وبتتحول لوحش ممكن يعمل أى حاجة عشان يفضل سره جواه. بلاش يابنى.. بلاش تنبش فى الماضى

لم يرتح جابى لكلام الرجل، واحس أن إصراره زاد على دخول هذا البيت.

***

صرخت اعتدال فى نوال:

– أنتى اكيد اتجننتي

– ليه بس يا اعتدال؟ اتجننت ليه؟!

– ده بيت مسكون عفاريت!.. عايزة تدخليه ازاى؟ طب مافكرتيش فيا؟ هعيش من غيرك ازاى؟

ربتت نوال على كتف اعتدال، وقالت لها:

– ماتخافيش بس. ثم إنى مش هكون لوحدى. معايا جابي ومريم.. والله ما تخافى مافيش حاجة من الأوهام اللى فى دماغك

– الله يخرب بيت جابي، على اليوم اللى شوفنا فيه جابي.. أنا ليا كلام مع عمك محمد، ييجي يشوف المصيبة اللى جابهالنا

***

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة فجراً، عندما ودعت نوال جابي من الشرفةن على وعد ان يتقابلا غدا مع مريم، لكى يتفقوا على دخول البيت. دلفت نوال إلى سريرها، واطفأت ضوء المصباح الموضوع على الطاولة بجانب السرير. وما إن أغمضت عينيها لتستسلم للنوم، حتى سمعت صوت أنين مكتوم، فانتفضت من مكانها، واضاءت المصباح، وأخذت تتلفت حولها. لم تجد شيئاً ورأت كل شئ طبيعياً بالغرفة، فاتجهت إلى الشرفة، فوجدت غرفة جابي مظلمة، فتأكدت أنه قد خلد للنوم، نظرت نظرة مريبة قلقة إلى البيت، فوجدت نافذة الدور الأخير تغلق بشدة، بمجرد ان نظرت نحوها! انتفضت نوال، وأسرعت تترك الشرفة، وتدخل حجرتها. شهقت، حتى كادت ان تبتلع هواء الغرفة كله.. كانت تواجه أمامها شبحاً، وجهه مخيف، يمسك بيده مقبضاً خشبياً، يبرز منه سكين حاد، ويقف على حد السكين غراب قبيح الشكل، ظر ينعق فى وجهها. هرعت إلى خارج غرفتها، لكنها لم تجد بيتها، بل وجدت نفسها فى صحراء، امام بيت عتيق مخيف! اغمصت عينيها وفتحتهما مرة أخرى، لتتأكد مما تراه.. حدثت نفسها أنه هو.. هذا بيت المغاربة! ثم هوت على الأرض وهى تصرخ بكل قوتها.

نظرت امامها، لتجد باب غرفتها واعتدال تهرع إلى داخل الغرفة، وترتمى على الأرض بجانبها لتطمئن عليها، وتتحدث إليها بلهفة:

– خير اللهم اجعله خير.. مالك يا نوال.. فيكي ايه يابنتى

التفتت حولها.. إنها فقى غرفتها ولا شئ غريب.. ردت وهى تلهث:

– مش عارفة يا اعتدال.. حسيت بحاجة مش طبيعية فى اوضتى.. أنا خايفة

روت نوال ما رأته لاعتدال..

– ما هو كل ده اللى انتى بتفكرى فيه.. طبيعي يجيلك أوهام وكوابيس، ده أقل واجب

– أوهام؟

– وللا يمكن الارواح اللى فى البيت اللى قدامنا نطت جاتلك، عشان تفهمك أنه ما ينفعش تدخلي بيتها

لم تدع نوال تلك الفكرة تسيطر عليها. حاولت النهوض، وقد تمسكت بقناعاتها، محاولة نهى اعتدال، وربما نهى نفسها ايضاً عن التصديق، وقالت:

– إيه الكلام الفاضى ده! نامى يا اعتدال نامى، شكلك انتى اللى اتجننتي

رغم جدالها وتظاهرها برفض خيالات اعتدال، إلا أنها لم تقاوم عرض اعتدال أدنى مقاومة، وذهبت معها غلى غرفتها، وارتمت على سريرها. أغمضت نوال عينيها، واختفت فى حضن اعتدال، وغطت فى نوم عميق.

***

بعد نقاش دام اكثر من نصف ساعة بين اجبي ونوال ومريم، اقتنعت مريم بدخول بيت المغاربة. اتفقوا على على الدخول فجراً، حتى لا يراهم أحد فيتصرف اى تصرف احمق، يسبب لهم من المشاكل ما لا يريدون. اتصلت مريم بامها، للاستئذان فى المبيت عند نوال، بحجة أن نوال مريضة ولا تستطيع تركها.. ووافقت الأم.

كان ذلك قبل ان تروى لهم نوال ما حدث ليلة أمس بغرفتها.

صرخت مريم:

– لأ بقى كده الموضوع مختلف. واضح ان الأرواح الشريرة مش موافقة على فكرة دخلوكم البيت، ودى مجرد رسالة.. قرصصة ودن

رد جابي:

– أرواح شريرة إيه ورسالة إيه.. بطلى تتفرجى على أفلام يا مريم، أحسن بوظلتلك دماغك

– طيب انا دماغي بوظتها الافلام.. تفسر أنت اللى حصل لها ده بايه؟

– هى بس كانت بتفكر فى الموضوع فتهيألها حاجات غريبة وجالها كابوس

غمغمت نوال تحاول إقناع نفسها:

– ايوة صح فعلا.. انا كان بيتهيألي!

***

انتهى المؤذن من الإقامة، واستغل الثلاثة انشغال المصلين بالصلاة، وهدوء الشارع، وتحركوا فى سرعة إلى البيت. كان هذا الميعاد فى الحقيقة ليس فقط كى لا يراهم أحد. لقد كان اختيار مريم، بعد أن قرأت فى أحد الكتب الساذجة ان العفاريت لا تظهر بعد أذان الفجر الفجر!.. تقدم جابى عن الفتاتين ببضع خطوات.. كانت نوال ترتعش، فأمسك جابي بيدها، ودلفا معا إلى البيت، تلحقهما مريم كان المكان شديد الظلام.. ترددوا قليلاً، ثم أضاءت مريم كشاف هاتفها المحمول، ليتقدموا على ضوئه.

وفجأة، صرخت الفتاتان.. هرعتا خارج البيت، ولم تشعرا بنفسيهما إلا وهم على بعد حوالى 1000 متر من البيت. جلستا على الرصيف لالتقاط انفاسهما، ونظرت مريم إلى نوال صارخة بحدة:

– ابن مجانين اللى يطاوعك تانى

– طب أنا ايش عرفنى ان الموضوع بجد!

– أنتى بتهرجي.. قلتلك مليون مرة قبل كده إن العفاريت والجن موجودين ومذكورين فى القرآن

سكتت نوال للحظة، ثم قالت فى عناد:

– بس انا برضه مش مرتاحة.. فى حاجة غلط

نظرت لها مريم بحدة، وقالت

– انتى مجنونة انتى وبيكاسو بتاعك.. وأنا ماليش دعوة بيكو تانى انتو هتموتونى بالسكتة القلبية

انتفضت نوال وقالت بلهفة:

- جابي!

ضحكت مريم بصوت عال، وقالت وهى تشير نحو الشارع:

- اهو ياختى اهو.ز زى القرد ولا جراله حاجة، جاى بيتمشى ولا كأن حاجة حصلت

التقطت نوال أنفاسها، وابتسمت ابتسامة واسعة، وقفزت نحوه. لم تفكر وهى تحتضنه فى الشارع، وبصوت مختنق قالت:

- بيكاسو!

***

وفى الشرفة، وقفا من جديد يتهامسان محاذرين أن تسمعهما اعتدال.. كانت نوال تحكى للمرة الألف:

- إحنا فجأة لقينا دم بيطرطش على الحيطان.. النور كان قوى زى ما يكون نور مخصوص عشان نشوف الدم، ورجع طفى تانى رد عليها وهو يضع يده على رأسه:

- حرام عليكي يا نوال.. انتى عارفة دة المرة الكام اللى تحكيلي الموضوع ده، رغم انى كنت معاكم؟

أجابته فى إحباط:

- ماهو مافيش حد غيرك انت ومريم يعرف الموضوع ده. ولما بتكلم مع مريم بتزعق فيا ويتقفل السكة فى وشي

نظر إليها بحنان شديد. هو مخطئ حقاً، فإن تركها هو لمخاوفها، فمن ذا يمكنه طمأنتها؟..

– طيب معلش.. ما تزعليس يا نوال.. بس أنا باقولك بجد.. إن شاء الله يكون فى حل تانى للموضوع الملعبك ده.. ده انتى أحلى حاجة فيكي انك مش بتصدقى الخرافات دى. حبيبتى أعقل من أنها تخاف من العفاريت!

نظرت إليه بحب شديد.. كلمة حبيبتى هى اقوى تعويذة سحر تغلب كل الارواح الشريرة. مدت يدها من الشرفة، وأمسكت يده، وقالت:

– وأنا بحبك قوى يا جابي.

***

جلست نوال فى كافيتريا الكلية، تنتظر صديقتها مريم، التى جاءت من بعيد ملوحة لها بيدها. قبل ان تفتح اى موضوع، قالت مريم بهدوء يحمل قراراً حازماً:

– بصى يا نوال.. آخر كلام.. انتى لازم تشيلي الموضوع ده من دماغك

– ازاى وليه؟ انا لازم اوصل للحقيقة

– حقيقة ايه يا مجانينو؟ ارحميني بقى.. ليه يارب كتبت عليه أن انتيمتى تبقى مجنونة؛ ليه؟!!! وكمان يوم ما تحبى، تختارى بيكاسو ده اللى هيودينا فى داهية!

لم تستجب نوال لدعابة مريم. كان الموقف متوتراً للغاية.. سألتها بحزم:

– مريم.. انا مش هزعل منك فى اى حالة، بس قررى.. هتيجي معايا انهارده ولا لأ؟

ردت مريم بسرعة وبحزم أيضاً:

– لأ.

نظرت لها نوال استعطاف، تفهمها مريم جيداً. هى نظرة تلجأ لها نوال، لمعرفتها الشديدة بقوة تأثيرها على صديقة عمرها. لم تخيب مريم ظنها، فمجرد ان رات هذه النظرة فى عينيها، ايقنت انه لا مفر لها من الموافقة. حاولت المقاومة، وتلجلجت بكلمات غير مفهومة لم تخرج من حنجرتها، ثم هتفت بصوت طفولى عالٍ:

– بس اسمعي بقى.. انا مش هدخل جوه.. انا هستناكم برة قفزت نوال كالأطفال، واحتضنتها بشدة وقالت مبتهجة:

– كنت عارفة انك مش هتتخلى عنى

وضعت قبلة على جبينها، ثم احتضنتها مرة اخرى، ومريم تحدث نفسها: "أنا ايه اللى عملته فى روحى ده!"

***

ومرة أخرى، دخلت نوال الى البيت بصحبة جابي ومريم، وقد أمسك جابى بكشاف الهاتف. بعد خطوات قليلة، رفضت مريم الاستمرار، وقالت لهما

– ماليش دعوة.ز أنا قلتلك انى هستنى بره.

استسلما – نوال وجابي – للامر، وتركاها عند مدخل البيت، ودخلا سويا، بعد ان استجمعا كل شجاعاتهما. المكان كان مظلما كالمرة السابقة، ثم فجأة رأيا ضوءاً خافتاً، فاتجها إليه.. وصلا للحائط حيث الضوء، فوجداه ملطخاً بالدماء. للمرة الثانية يكون الضوء

مرشداً للمتطفلين كى يروا الدماء. سمعا صراخاً عالياً، فانتفضت نوال. امسك بها جابي بقوة، وقال لها بحسم:

– ماتخافيش، مفيش حاجة. النور مقصود يورينا الدم، يعنى دى تصرفات عاقلة وعارفة بتعمل ايه، وقاصدة تخوفنا..

ولكن نوال لم تعقل شيئاً مما يقول. ظلت تصرخ بهيستريا، حتى اضطر جابي ان يجذبها إلى خارج البيت.

***

كان جابي غاية فى الضيق. وقفا اسفل بنايتهما، وبدأ هو الحديث

– حرام عليكي يا شيخة.. انا كنت خلاص هوصل لخيط كانت نوال ما زالت ترتعتش.. قالت وهى تكاد تبكى:

– خيط ايه بس يا جابى، انت ماشوفتش الدم؟

نظر غليها بغضب، ورفع يده إلى منخارها، وقال مستنكراً:

– شمى يا نوال.. شمى.. دى ريحة دم دي؟

قربت نوال أنفها من بد جابي، لتشم الرائحة.. وهى فى حالة ذهول قالت:

– ايه ده.. بوهيه؟!

نظر غليها فى سأم، وكاد يخبرها أنها جبانة، لا فرق بينها وبين مريم صديقتها. انتبه حينها أن مريم قد اختفت، ولم تكن بانتظارهما عند بوابة البيت المهجور! تساءل فى ريبة..

– هى مريم فين؟!

– ووجمت نوال، لا تعرف رداً.

***

منذ ان دخل جابي البيت وهو يشتم رائحة طلاء.. فى المرة الاولى، لم يمنحه فزع رفيقته الفرصة للتأكد، ولذا صمم ان يدخل مرة أخرى، وان يتأكد ان الرائحة فعلا تاتى من داخل البيت. وفى هذه المرة، تأكد فعلا.. كشط الحائط بمطواة صغيرة، وأخذ عينة منه على أطراف أصابعه. إنه طلاء جديد لم يجف بعد.. مجرد طلاء احمر، وليست دماء!

وفى احد المقاهى بالزمالك، كان جابي يحاول تهدئة نوال، فهما لم يعثرا على مريم منذ الأمس. كانت نوال ترى اختفاء صديقتها قد حطم فكرة جابي من اساسها، ونفى ان يكون البيت المهجور بريئاً.

سألته نوال باكية:

– تفتكر حصلها إيه يا جابي؟

لكن يصمت جابي ولا يجيب.

– جابي.. لو سمحت رد عليا.. ارجوك

– مش عارف يا نوال.. مش عارف. بس إحنا اتأكدنا ان اللى ورا كل ده بشر، مش عفاريت ولا جن.. مافيش جن هيرش بوهيه على الحيطة!

– جن وللا بشر.. أنا اللى يهمنى دلوقت مريم.. مش عارفة أعمل ايه؛ نبلغ البوليس؟ صمت جابي، شارداً طويلاً، ثم اجابها:

– لا يا نوال.. استنى لحد بكرة، لو ما ظهرتش هنبلغ البوليس. المهم ما تبلغيش أهلها بحاجة دلوقتى

وغمغمت باستسلام غريب عليها:

– حاضر

***

قرر جابي دخول البيت بمفرده. لن يبلغ نوال، فهو فى حاجة إلى تركيز وعدم لفت انتباه من يسكن البيت إليه. تسلل جابي إلى بيت المغاربة، والعجيب أنه اختار نفس التوقيت.. الفجر!

هذه المرة لم يستخدم اى وسيلة إنارة، وأخذ يدخل غرفة ويخرج من الأخرى، حتى اصطدمت قدمه بشئ ملقى على الأرض، وسمع صوت أنين خافت:

– مممممممم

ركع يتحسس ذلك الجسد.. إنه جسد بشرى حى، مقيد ومكمم!. اخرج هاتفه من جيبه، واضاءه وسلطه على هذا الأسير، وهتف فرحاً:

– مريم!

أزال اللاصق الطبى الموضوع على فهما..

– جابي! أنا مش مصدقة نفسى.. الحمد لله..

اخذت تبكى، بينما يسرع هو بفك الحبال من يديها وقدميها:

مريم إيه اللى حصل ومين عمل فيكي كده؟

– راجل شكله غريب.. بييجي يجيبلي اكل ومية وما بيتكلمش خالص. بس سمعته من شوية بيتكلم مع واحدة كأنه بيغازلها

التفتت إليها وهمس:

– مريم.. يللا بينان بس لو سمحتى تمسكى اعصابك، إحنا مش عارفين مين دول وللا ممكن يوصلوا فى أذية اى حد لحد فين.. سامعانى.. تمسكى أعصابك وما تطلعيش صوت

أومأت له مريم متفهمة، وأخذ جابي ينصت، حتى حدد الغرفة التى يصدر منها صوت الرجل. مشى على أطراف أصابعه، حتى وصل إلى حافة الباب، ومريم خلفه متعلقة بسترته. وفجأة، برقت عيناه وظهرت على وجهه الصدمة، ثم همس:

– ايه ده؟ يخرب بيوتكم!

– فى ايه يا جابى

– شششششش

صمتت مريم ولم تنطق.. وانتظرت ان يقول جابي شيئاً، ولكنه كان يتابع شيئاً بتركيز، ولا ينطق. لكزته مريم فى كتفه، وقد استفزها الفضول. تلفت حوله يدقق على ضوء شروق قد بدأ يتسلل من وراء النافذة المغلقة، ثم تركها وذهب إلى ركن الغرفة، واخذ منه فأساً قديماً، ثم عاد إليها، وناولها الفأس وهو يهمس إليها..

– مريم.. إحنا هنهجم عليهم دلوقتى.. انا وأنتى.. أرجوكى، عايزك قوية.. مش هينفع نغلط.. الموضوع مش مستحمل، أبوس إيدك

التقطت مريم الفأس من يده، ورفعت إبهامها تطمئنه، وقد أخذها الحماس:

– حاضر حاضر

ذهب جابي إلى حيث كانت مريم ملقاة على الأرض، وأخذ الحبال التى كانت موثقة بها مريم.. دفع الباب فجأة وهو يصيح كطرزان، وهجم على سلطان من الخلف يقيده، بينما أمسكت مريم البلطة فى يدها تهدد بقتل اعتدال صرخ فيهما جابي قائلاً:

– مش قادر اصدق.. بقى بعد كل ده تطلعوا انتم الاتنين اللى عاملين الهيصة دى عشان بتحبوا بعض؟

نظرت اعتدال ملهوفة الى سلطان. ثم أدارت عينيها إلى جابي:

– أبوس ايدك يا جابي.. ما تعملش فيه حاجة ده غلبان والله

– يااااه قد كده بتحبيه؟

– ده مالوش غيري فى ادلنيا، أبوس ايدك

فكر جابي قليلاً..

– بصى.. ولا تبوسى ايدى ولا رجلى.. أنتى بعد ربع ساعة من دلوقتى هتحكيلنا حكايتكم كاملة، وإلا هسلمكم للبوليس.. ده خطف فتاة على فكرة، يعنى مافيهوش هزار

صمتت اعتدال طويلاً، ثم غمغمت ياستسلام:

– تحت أمرك

اتصل جابي بنوال، وطلب منها الحضور إلى البيت واخبرها انه لديه أخبار عن مريم. وعلى الرغم من اندهاشها تقتيره فى الكلام، إلا أنها أسرعت إليه. فى انتظارها فى حديقة البيت. جذبها من يديها ونظر إليها وهمس:

– عايزك قوية.. مش عايزك تنهارى ولا تزعلى نفسك

صرخت نوال بلهفة وخوف:

– مريم جرالها حاجة؟

– ماتقلقيش.. مريم بخير وموجودة معايا هنا

نظرت إليه بفرحة، واحتضنت ذراعه، حتى دلفا إلى الغرفة. صعقت عندما رأت اعتدال وسلطان موثقين بالحبال، ومريم تمسك بيدها فاس الزراعة بشكل كوميدى للغاية، لم يكن هناك داع لإجهاد ذراعيها برفع الفأس الثقيل، وكلاهما موثق جيداً بالحبال.

تسمرت نوال فى مكانها تتساءل عن علاقة اعتدال بكل ذلك. تركت مريم الفأس أخيراً، واحتضنتها بفرحة، ولكنها لم تستطع ان تتجاوب مع حضن مريم من هول الصدمة.

قال جابي موجها حديثه إلى اعتدال:

– ها بقى.. هتحكيلنا قصة الأمير سلطان وست الحسن والجمال؟ رمقته اعتدال بكراهية لسخريته، ثم اكتشفت انه فى موقف رجاء، فعادت تقول فى استعطاف وهى تنظر إلى نوال:

– نوال.. أرجوكى تسامحيني، انا ماعملتش حاجة تأذيكي.. إحنا بس كنا عايزين نخوفك من البيت، عشان ماتفكريش تدخليه تانى.

سألتها نوال فى حيرة وذهول:

– وانتى ايه علاقتك بالبيت أصلاً، ومالك ومال عم سلطان.. أنا مش فاهمة حاجة!

نظرت اعتدال برجاء إلى جابي:

– فكنا يا جابي.. احنا مش هنعمل حاجه والله. إحنا غلابة قوى فوق ما تتصول. هحكيلكم كل حاجة، بس اوعدونى ما تئذوش سلطان، ده راجل طيب ومش قد البهدلة

صمت جابي قليلاً، ثم اخذ يحل الوثاق من أيديهما وأرجلهما. اعتدلت اعتدال فى جلستها، وهى تفرك رسغها مكان القيد المؤلم، ثم نظرت إليهم وقالت:

– من 25 سنة جيت البيت عند الست أم نوال. كانت لسه عروسة جديدة وقتها. عشت عندهم اخدم فى البيت.. 7 سنين وامك ما بتخلفش يا نوال. كان قدامنا بيت المغاربة، على أمل انهم يلاقولها حل وتخلف، لأنهم بيشتغلوا فى السحر والأعمال. فى الوقت ده شفت سلطان. كان عايش فى البيت ده مع أهله. وفضلنا نتقابل كل يوم، وكان بيحكيلي ان العيلتين ما بيفهموش أصلا فى السحر ولا يعرفوا عنه حاجة، وانهم دجالين.

وفى يوم.. سمعت خبط على باب المطبخ.. فتحت لقيت سلطان قدامى وهدومه غرقانة دم. هديته وسالته فى ايه، فاللى: قتلتهم يا اعتدال.. قتلتهم وخلصت الدنيا من شرورهم ونصبهم على البشر.

اتصدمت.. قلت له: ازاى.. قتلت 7 لوحدك؟! قاللى خدرتهم ودبحتهم واحد واحد. كنت بحبه قوى.. هو كانت نيته خير وهم اللى كانوا اهل شر.. زى ما قال كده، هو خالص

الدنيا من شرهم وضحكهم على الغلابة، ما تخيلتش حياتى من غيره لو اتقبض عليه.. وقررت انى أقف جنبه مهما حصل.

رسمتله خطة.. وهو نفذها بالظبط.. قلت له انت دلوقتى هتروح البيت.. هتشغل مزيكا عالية وهتخبط وتكسر فى البيت.ز وهتخرج جرى منه وانت بتصرخ وبتقول: قتلوا بعض قتلوا بعض!.. الناس هتتلم عليك، هتحكى انهم فضلوا يحضروا فى جن، لحد ما طلع وماعرفوش يصرفوه، وقلبهم على بعض ونزلوا تدبيح فى بعض. وفعلا ده اللى حصل، ونجحت الخطة لدرجة ان البوليس نفسه صدق، وماشرحش الجثث، وكانوا خايفين وعايزين يقفلوا القضية باى طريقة، وانتهت القصة.

بس سلطان ماقدرش يبيعد عن البيت، لأنه بيحبه جداً ومرتبط بيه من وهو طفل. طلب منى اساعده يعيش فى البيت، وفعلا ساعدته، وبعدها على طول امك خلفتك، ومافيش سنتين سابتك هى وابوكى وماتوا غرقانين فى العبارة وهما رايحين يعملوا عمرة. بقت حياتى مفيهاش غيرك انتى وسلطان، وفضلنا عايشين فى سلام.. لحد ما استاذ عبدالحميد جه فى يوم وقال لى انه لقى مستاجر للشقة وجه جابي.. ومن ساعتها والدنيا اتقلبت.

أبوس ايديكم.. سلطان ده غلبان.. ما انتى طول عمرك عارفاه يا نوال، عمرك شفتى منه حاجة وحشة؟.. انت كمان عارفه يا جابي، وأنتى يا مريم.. انا عشت عمرى كله عشان نوال، ماليش خاطر عندكم؟.. أنا ماليش حد فى الدنيا جبنى وحبيته غير سلطان، سيبوهولى!

انهارت اعتدال تبكى، وتبادل جابي ونوال ومريم النظرات، ولم يعرفوا بماذا يحكمون فى الأمر. بكت نوال مع بكاء اعتدال، وتركت رفيقيها وهرعت تحتضنها وتطمئنها..

– اعتدال انتى حبيتى سلطان، وعملتى كل ده عشان حبيبك. عم سلطان كمان طول عمره راجل طيب والشارع كله عارف كده

أدارت راسها إلى جابي ومريم وقالت بحسم:

– انا مش هبلغ البوليس.

كان جابي حائزاً. قال فى هدوء:

– حكمى عقلك يا نوال.. ادينا وقت نفكر على مهلنا، الموضوع مش سهل. لاحظى ان احنا لو ما سلمناهوش نبقى بنتستر على مجرم!.

ردت نوال:

– المجرم ده راجل غلبان مريض.. البوليس مش هيستفيد حاجة لو حبسه

نظرت اعتدال إليهم وقالت:

– ولا انتوا كمان هتستفيدوا.. لكن لو سمعتوني هتكسبوا... انتبهوا إليها، وسالتها نوال فى حذر:

– هنكسب؟ قصدك ايه؟

قالت اعتدال:

– قصدى حلمك.. مشروعك.. البيت اللى نفسك تحوليه يبقى جنة

صمتت نوال ولم تستطع الرد، وشردت بأفكارها.. رأت البيت وقد أصبح جنة، بعد تجهيزه.. رأت حفلات توقيع، ومعارض لوحات، وغرف اجتماعات ومحاضرات، ومكاتبة

للقراءة.. رأت حلمها أمام عينيها. أفاقت من شرودها على صوت اعتدال موجهة الكلام لجابي:

– معرض يا جابي.. معرض تعرض فيه شغلك، ويبقى ليه تمن. مش تفضل ترسم ليل ونهار، عشان تبيع اللوحة يادوبك بأكتر من تكلفتها بعشرين تلاتين جنيه، مياجيبوش حتى تمن إيجار الشقة اللى انت عايش فيها

وهنا صرخ سلطان، وانتفض من مكانه واحتمى بحضن اعتدال، وقال بطريقة طفولية:

– انا معايا عقد البيت.. هتناول عنه، بس خلونى أعيش مع اعتدال. انا مقدرش اعيش من غيرها.. ما تاخدونيش من اعتدال.. والنبى متاخدوهاش منى

ساد الصمت طويلاً، وظلوا يتبادلون النظرات، إلى أن نطقت مريم:

– بصوا يا جماعة.. احنا فعلا مش هنستفيد حاجة لو اتسجن. بصرف النظر عن ان سلطان هو الوريث الوحيد للبيت، ولو اتسجن مش هيبقى ليه حق فى البيت أصلاً عشان قاتل، يعنى مش هيورث وهيتم مصادرة البيت، وأملك فيه هيروح يا نوال.. دى مسألة مادية صعب نحطها فى الميزان قصاد التبليغ عن قاتل. الفكرة دلوقت أن سلطان ما عملش اى شر تانى بعد عملته السودا دى.. يعنى تاب.. وكده كده يمكن حتى العقوبة تكون سقطت بالسنين اللى عدت دى كلها. الموضوع بقى مش جريمة قتل، لكن بقى اللى ممكن نفكر فيه دلوقت حالة إنسان اسمه عم سلطان، عايش فى حالة ومش بيضر حد، سكت الجميع يفكرون فى كلام مريم الحكيم. قطعت الصمت اعتدال قائلة:

– خدوا وقتكم ياولاد. يا جابى، خد البنات من هنا دلوقت، نوال محتاجة ترتاح. ابقوا ناقشوا الموضوع وفكروا على مهلكم، إحنا يعنى هنروح فين، ماحنا مالناش مكان إلا البيت

ده. وانتى يا نوال.. ماتعدريش باعتدال.. أنا اديتك عمرى كله، وكنت ليكي اهلك وناسك وبيتك. إحنا مانستاهلش كده والله

أمسك جابي بيدي نوال ومريم، وجذبهما إلى خارج الغرفة، وغادر بهما البيت، تاركين اعتدال وسلطان خائفين من المجهول، لا يعرفان مصيرهما. احتضنت اعتدال سلطان كأنه طفلها، ومسحت على شعره وطمأنته:

– ماتخافش يا حبيبي.. أنت أصلك ماتعرفش نوال.. دى طيبة واصيلة مش هتتخلى عنى أبدا

ثم قالت:

– عندى فكرة حلوة قوى!

وانحنت على أذنه.. فنظر إليها مبتسماً، مرحباً بالفكرة

***

ساد ظلام الليل، ووقف جابى فى شرفة الصالة فى شقة نوال، وجلست نوال على مقعدها الهزاز المفضل لديها، شاردة.

– تفتكر هما عاملين ايه دلوقتى؟

أشعل جابى سيجارة، فاتسعت عينيها مندهشة. تجاهل نظرتها وقال:

– انا بدخن قليل جدا يا نوال، ما تقلقيش.

هز راسه بمعنى ان هذا ليس موضوعنا، واستطرد:

– هما صعبانين عليا قوى، بس برضه مش عارف آخد قرار قالت فى عناد:

– انا بقى أخدت قرارى خلاص

– ما تخليش عاطفتك تلغى عقلك يا نوال

– مش مسألة عاطفة.. ده رد جميل. انا كنت ممكن ابقى فين لو اعتدال تخلت عنى زى باقي الناس؟.. ايه ده! بص!

نظر الى حيث تشير.. إلى البيت. كانت أنواره تضاء واحداً تلو الآخر!

خرجت عليهما مريم تجرى وتقول:

– هو ايه اللى بيحصل؟ شايفين البيت؟

التفتت إلى نوال واستطردت:

– على فكرة أنا معاكي فى قرارك، ويلا نوديلهم الأكل بقى.. حرام دول من الصبح ماأكلوش حاجة.

نظر إليها جابى وضحك قائلاً:

– الله! طب مانتى كويسة اهو يا مريم، وبتفكرى عادى زينا، أمال ايه الإشاعات اللى طالعة عليكى دي؟

نظرت مريم له بغيظ:

– تصدق انا غلطانة انى بعبرك أصلا

ضحكت نوال..

– يلا يا جماعة.. بطلوا مناقرة، الناس زمانهم ميتين من الجوع مضى الثلاثة إلى البيت المضئ لأول مرة منذ زمن، حتى لقد لفت أنظار الحى بأكمله. كان اعتدال وسلطان يعملان فى البيت بجد واجتهاد، ويقومان بطلاء الجدران بالألوان التى تحبها نوال. حين رأتهم اعتدال، فتحت ذراعيها، فجرت نوال إليها وارتمت فى حضنها

– البيت وانتى مش معايا مش بيت يا اعتدال.

أخذتها اعتدال، وأجلستها على مقعد، وجلس جابي وسلطان على مقعدين وفتحت لفة الطعام على اطلاولة، ثم جلست معهم.

ابتسمت نوال للجالسين فى حب.. إن الله لم يتركها يتيمة. اعتدال دائماً كانت خير أم وأب معاً، ومريم كانت دائماً اقرب من أخت، وها هو جابي يرسله الله إليها ليتم سعادتها، حتى عم سلطان كان دائماً أشبه بالجد الطيب الذى يمنحها نصيحته وحكمته كلما مرت به تشترى المناديل. أكلوا معاً.. وخططوا جميعاً لتجهيز البيت لمشروع نوال.. ثم استعانوا بالأستاذ محمد عبدالحميد المحامى لإنهاء إجراءات ميراث سلطان، وتنازله عن البيت لنوال.

***

انتهوا من تجهيز البيت بسرعة، وسحب عم نوال من اموالها، بموافقة المجلس الحسبى، بعد إقناعهم بالمشروع. وبالفعل افتتحت نوال مشروع عمرها، ومعها جابي.. بالتأكيد، لولا مساعدة سلطان واعتدال ما كان شئ ليتحقق. وبعد الافتتاح، قاموا بتجهيز الدور الاخير بالبيت، ليصبح عش زوجية لسلطان واعتدال معلنين زواجهما اخيراً.

أعلنت بعد الافتتاح كذلك خطبة جابي ونوال. كانت مريم تلتقط الصور لكل شئ. كانت تفكر كيف تم محو كل ما يتعلق بماضى اعتدال وسلطان، وكيف تأخرا كثيراً فى حصاد الفرحة فى دنيتهما. لم تكف اعتدال عن العناية بنوال، وعمل سلطان بالمشروع، فظل فى بيته الذى أحبه ولم يرغب ابداً فى تركه. جابي جمع لوحاته، ورتب معرضه بالدور الثانى من البيت. ومرت السنوات.

***

بعد ثلاثة أعوام..

حقق المكان نجاحاً خيالياً، لم تكن تتوقعه نوال، وبدأ اسمه يتردد فى كل مكان، لدرجة أن الزوار كانوا يجيئون من الخليج ولبنان، لكى يزوروا بيت المغاربة، ويقرأون حكايته التى كتبتها نوال على لوحة كبيرة. ولكن طبعا لم تكتب النهاية ولا الحقيقة. وضعت لوحة كبيرة بيضاء بجانب لوحة القصة، وكانت تطلب من كل الزوار ان يكتبوا بها النهاية التى يرونها.. منهم من كتب أن البيت مسكون، ومنهم من كتب ان القصة كلها جريمة قتل محكمة، ومنهم من كتب أن القصة من خيال نوال. كنوع من أنواع الدعاية!

وكان سلطان يجلس امام اللوحة المكتوبة بها انلهايات، يقرأ ويضحك هو واعتدال، ويقول لها

– مفيش حد أبدا بيتوقع الحقيقية. اصل احنا عايشين فى دنيا، دايما الحقيقة فيها مابتتصدقش، لازم تخترعى قصة عشان تتصدق.. إنما الحقيقة!.. دايماً تايهة.

***

دكتورة هالة

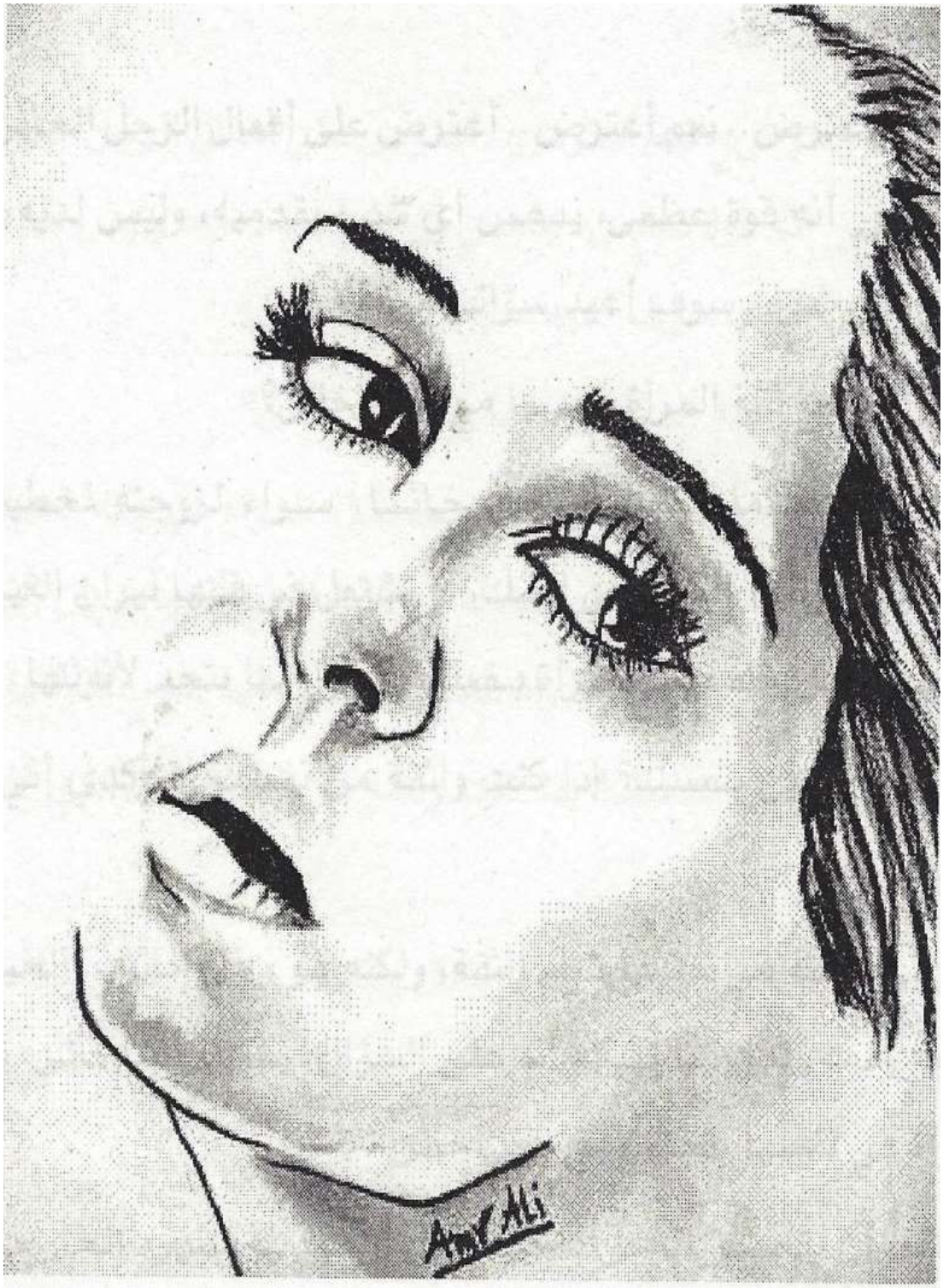

وقفت دكتوره هالة أمام طالباتها وطلابها، وهى تخطب بصوت عالٍ:

– اجيبونى، هل تجتمع ثقة المراة بنفسها مع رجل خائن؟

تهامس الطلبة والطالبات فى المدرج، وقطعت دكتورة هالة تهامسهم صارخة:

– أعترض.. نعم أعترض.. أعترض على أفعال الرجل الخائن.. إنه يتصور انه قوة عظمى، يدهس اى شئ بقدميه، وليس اى احترام لأى شئ. سوف اعيد سؤالي مرة أخرى:

هل تجتمع ثقة المرأة بنفسها مع رجل خائن؟

دائماً، عندما يكون الرجل خائناً، سواء لزوجته لخطيبته لصديقته.. وتبدأ المراة فى الشك، او تشتعل فى قلبها نيران الغيرة، يتوارى الرجل خلف ثقة المراة بنفسها، ويقول لها بتحدٍ لأنوثتها:

– ألا تثقين بنفسك؟ إذا كنت واثقة من نفسك، فتاكدى انى لا أخونك.

وهى واثقة فى نفسها تمام الثقة، ولكنه هو رجل خائن.. الخيانة بطبعه ودمه. لذا، سأجيبكم انا على السؤال.. نعم يا أصدقائي، ثقة المرأة فى نفسها تجتمع مع رجل خائن.

لابد ان يتحضر الرجل داخلياً، قبل ان يهذب مظهره الخارجى.. ويعلم ان المرأة مثلها مثله، لها حق التعليم والثقافة والإدارة.. لها الحق فى كل شئ أتمنى ان أكون قد أضفت معلومة ولو بسيطة لكم اليوم.. أشكركم هكذا أختتمت دكتورة هالة خطبتها.. تصفيق حاد فى القاعة، خاصة من البنات.. ابتسمت لهم دكتورة هالة، وخرجت من المدرج سعيدة، فهى معتادة ان تخرج عن موضوع المنهج مرة كل أسبوع، لتتناقش ما الطالبات والطلبة فى موضوع مختلف يخص حياتهم.

***

هالة تبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً، عاشت حتى سن السابعة عسر فى دولة من دول الخليج مع والديها، إلى أن قررا الرجوع إلى الوطن، وبالفعل عادوا واشتروا شقة فى حى المهندسين. وكانت هالة قد تقدمت بأوراقها إلى كلية التربية قسم الإنجليزية، وتفوقت هالة، ومرت سنوات الدراسة سريعاً، وسرعان ما أنهت رسالة الماجيستير والدكتوراه، وعادت مرة اخرى لمدرج الجامعة، ولكن كمدرس وليس كطالب.

لم تكن هالة تهتم بمظهرها كباقى البنات، ولكنها كانت دائماً منسقة فى ملابسها، من حيث الالوان، وكان شعرها ناعماً لا يرهقها، فكانت تسدله على ظهرها وتضع طوقاً بسيطاً ورقيقاً للغاية ليرفعه إلى الخلف، حيث إنها كانت دائماً أن يلمس شعرها وجهها، لذلك كانت تفعل اى شئ يجعل شعرها مسحوباً إلى الخلف. أحبها طلابها وطالباتها، واحبوا وبساطتها وهدوءها، وكانت لا تشعرهم أبداً انها مدرس، ولكن كانوا دائما يشعرون معها انها واحدة منهم، وكانوا ياتمنونها على أسرارهم، ويشركونها فى مشاكلهم وخلافاتهم

أحبتهم هالة.. خرجت معهم.. حضرت اعياد ميلادهم.. سافرت معهم رحلاتهم. أحست انها مازالت طالبة، وساعدها فى ذلك شكلها، الذى يعطيها اقل من سنها، حيث إن كل من رآها لم يكن يعطيها اكثر من 23 سنة على الأكثر.

فى رحلة إجازة نصف العام الى الأقصر وأسوان، التى نظمتها الكلية ككل عام، سافرت هالة مع طلابها. كانت تجلس على حافة المركب النيلي، وهى تتامل النيل العظيم، عندما لاحظت رجلاً أسمر فى الأربعينيات من عمره، وسيم، وسماره اكسبيه جاذبيه غير عادية، يرتدى جلباباً مما اشتهر بارتدائه أهل أسوان، ويمسك بيده ناياً ينفخ فيه لحناً حزيناً، ولكنه ممتع. أخذها أنين الناى، حتى كادت تنسى أنها على حافة المركب وهى تهم بان تسند راسها إلى الخلف.. أغمضت عينيها، وذهبت من الدنيا وما حولها. ولم تفق إلا على صوت يحدثها باللهجة الصعيدية، كان واضحاً أنه لرجل متعلم.

– باعتذار لحضرتك.. واضح انك اندمجت مع الناى، بس مضطر اطلع بالمركب حالا. خلى الناى مع حضرتك لحد ما ارجع وأكمل لك المقطوعة.

نظرت له وهى تفتح عينيها محبطة من توقف اللحن فى أذنيها وقالت:

– عزفك فعلا رائع.. وميرسي قوى على الثقة دى

ومدت يدها وأخذت منه الناى

ابتسم لها وهم بالانصراف، ولكنها استوقفته متسائلة:

– هو انت اللى بتسوق المركب دى؟

رد عليها مبتسماً ابتسامته الجذابة، وبلهجته الصعيدية التى احست بجاذبيتها لأول مرة فى حياتها:

– ايوة.. أنا خريج كلية الآداب قسم آثار، لكن دى شغلة ابويا، ولما مات ورثتها عنه، لأنى كنت دايما معاه وحافظ النيل نجطه نجطه.

نظرت له بابتسامتها الخلابة.. رغم معرفتها باللهجة الصعيدية من خلال المسلسلات، وأيضاً منذ بداية هذه الرحلة، إلا انها أحست انها اول مرة تسمعها هكذا كررت آخر كلماته فى مرح:

– نجطه نجطه؟!

ضحك ضحكة عالية وقال لها:

– أيوة.. نجطه نجطه

– طيب انا مش هعطلك بقى.. اتفضل عشان شغلك

– طب ما تطلعى معانا؟

ابتسمت ابتسامة طفلة أخبرها أبوها أنه سيصحبها إلى الملاهى، وقالت له:

– بجد؟

– ايوة طبعا بجد

أخذ يدها، وسحبها بقوة أحبتها واستسلمت لها، مرت الرحلة وهما يتقابلان يومياً.. عشر ايام انقضت، وجاء اليوم الاخير، وخرجت من الفندق لتذهب إليه، ولكن موظف الاستقبال استوقفها، وقدم لها حقيبة ومظروفاً لونه وردى، وقال لها:

– صديق حضرتك جه الصبح بدرى وساب لك الشنطة والجواب دول

أخذت الحقيبة بفرحة، وفتحتها.. وجدت مركباً صغيراً، عليه قبطان ممسك بالدفة، ويلوح وهو ينظر للبحر.. فتحت الخطاب وقراته، ويا ليتها ما فعلت..

"حبيبتى هالة

واسمحيلي اقول لك حبيبتى، لأنى فعلا حبيتك، ومن كتر مانا حبيتك مقدرتش أصارحك بالحقيقة. انا كان نفسى اقول لك انقلى شغلك ونقعد هنا ونعيش مع بعض.. كان نفسى اقول لك هسيب الدنيا ونازل معاكى مصر. لكن ظروفى منعتنى.. زوجتى وأولادى منعونى. مش دايماص الحاجة اللى بنتمناها بنلاقيها

انا {سف يا هالة.. آسف"

أفرغت الظرف، فإذا ما به يسقط

صورة لطفل وطفلة يشبهانه للغاية

مزقت الخطاب.. ولم تنطق إلا بكلمة واحدة:

– خاين!

***

سعادة

سعادة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً، وقد جاءت الأخيرة فى ترتيب اشقائها السبعة. وبالطبع، مع وجود كتيبة الإعدام هذه، لم يكن من الممكن ان تتعلم، فكبرت أمية، لا تعرف القراءة والكتابة.

سعادة لم تكن قبيحة، ولكنها فى نفس الوقت لا تمت للجمال بأى صلة.. مجرد فتاة سمراء، شعرها أشعث، رفيعة للغاية، وذكية رغم عدم تعليمها. عاشت سعادة حتى سن السادسة عشر فى بيت ابيها. لم تكن تعيش بالمعنى المفهوم.. كانت تستيقظ على ركلات إخوتها، النائمين فوق بعضهم البعض لضيق المكان، ثم تستعد لخوض الحرب اليومية، لتتمكن من الفوز بلقمة او لقمتين على الأكثر من طبق الفول الصغير الذى تعده امهم لهم كل صباح، وتطلق عليه مجازاً (فطار)

بعد ذلك، تجرى فى البيت تفادياً لنعل أمها، الذى يتطاير طوال اليوم يبحث عن ضالته، إن كانت شعادة او إحدى أخواتها، كان للأم لسان، نادراً ما تستخدمه إلا عندما تسب إحداهن، ويكون السباب متزامنا مع قذفها بالنعل الطائر، بمرة البنات بالمسح والكنس والطبخ. وياتى الليل، وتحاول سعادة جاهدة البحث عن مكان آمن تنام فيه، بحيث تتفادى ركلات أخواتها ولمسات أخيها الأكبر لثديها وجسدها كله أثناء نومها. ولم تكن تفلح فى الهرب من الأخ، حتى تصطدم بأبيها الذى لا يكتفى باللمس، بل كان يمثل النوم بجانبها لكى يفعل ما يحلو له. إلى أن جاء اليوم، الذى احست فيه سعادة بألم شديد واستيقظت لتجد نفسها بين أحضان أبيها، وقد انتهى كل كل شئ!

قامت إلى المرحاض، اغتسلت ونظفت ملابسها من دمائها المختلطة بماء أبيها الفاسد، ولكن لا شئ تغير، ولا هو حتى ندم على فعل.

استمرت حياة سعادة تعسة شديدة السواد، إلى أن جاءت امها يوماً ما واخبرتها انها وجدت لها عملاً فى (بيت ناس طيبين) على حد تعبيرها. فرحت سعادة، رغم إنها لا تعلم إلى أين المصير؛ ولكنها كانت تحلم باى مكان آخر، ودائماً تردد لنفسها:

هيكون أمر من هنا يعنى؟ اى حتة غير هنا ان شالله نار جهنم اصطحبتها امها الى بيت الحاج امين، الذى كان له من الأولاد ابنتين وولد، الأولى فى المرحلة الابتدائية، والثانية فى المرحلة الإعدادية، والولد فى مثل سنها تقريباً، يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً. وأما زوجة الحاج أمين فامرأة شديدة الطيبة.

دارت سعادة بعينها فى البيت الانيق، وأحست براحة شديدة. بيت لن يوجد فيه ركلات ولا سباب ولا تحرش ولا دماء مخلوطة بماء فاسد. قضت أول ليلة لها فى غرفة بمفردها، وهذا شئ لم تجربه من قبل. استغرقت فى سبات عميق، ولم تشعر بنفسها إلا فى تمام السادسة صباحاً، حيث ضجيج الأولاد ورفضهم الاستيقاظ للمدرسة. اتجهت إلى غرفة الاولاد، فصاحت بها الأم:

– سعادة!.. ماغسلتيش وشك ليه؟

انتفضت سعادة من هول المفاجأة، ورددت:

– وشي؟!

تذكرت بيت ابيها، وتذكرت انها لم تكن تتذكر غسل وجهها من كثرة الأحداث التى تحدث لها، وانها كانت فقط تضع القليل من الماء بيديها على وجهها أثناء غسلها للأوانى، على نفس الحوض الذى يغتسلون عليه.

ذهبت إلى الحمام الملحق بغرفتها، ووقفت امام الحوض، وهمت بغسل وجهها.. ولكنها توقفت، وأخذت تنظر حولها. كان مرحاضاً فخماً جداً، به حوض كبير يسمونه (بانيو). نظرت امامها فى المرآة، وتذكرت انها لا تملك مرآة فى بيتها، فقط مرآة صغيرة يحيطها برواز من البلاستيك الأاخضر، كان ابوها قد استرها لها من أمام محطة المترو، حتى ينال رضاها ليلاً!

غسلت وجهها بصابونة ذات رائحة جميلة لم تشتمها طيلة حياتها، وحلمت بنفسها وهى تملأ هذا المدعو (بانيو) وتنام فيه وهو مملوء بالصابون ذى الرائحة العطرة.

ثم أفاقت من احلامها على صوت الأم وهى تنادى عليها، فجرت إليها فى المطبخ، حيث وحدتها تعد طعام الإفطار للاولاد:

– بصى يا سعادة.. كل واحد من الأولاد بيحب يفطر حاجة. النهاردة انتى هتتفرجى عليا ومن بكرة هتعملى كل حاجة لوحدك، اتفقنا؟

ردت سعادة بفرحة حقيقية

– اتفقنا

بعد انتهاء الأم من إعداد الطعام للأولاد، وضعت لسعادة ثلاث اطباق إفطاراً لها: طبق فول وطبق بيض، وطبق به انواع جبن لا تعرفها ولم ترها من قبل، لم تميز منها إلا الجبن الأبيض، والذى لم يكن أيضاً مثل الجبن الذى تأكله فى بيت أبيها، كان ألذ بكثير. حتى الفول كان لونه فاتحاً، وطعمه مختلف عن الفول الأسود الى كانت تحضره لهم أمها. جلست تأكل وتتذكر حربها الصباحية مع أخواتها للفوز بلقمة فول.

علمتها سيدتها كيف تعد طبق الفول الخاص بالحاج أمين، وتضع عليه خلطة الطماطم والبصل والفلفل الأخضر، وعلمتها الاكلات المفضلة للأولاد. لم تكن اعمال المنزل شاقة عليها، يكفى انها لا تجد بين الحين والآخر حذاءً طائراً يصطدم برأسها، ويكفى انه لا أحد يطرق الباب عليها بإلحاح فى المرحاض، وأنها تجد ملابسها مكان ما وضعتها. وكانت كل يوم تنفذ حلمها ليلاً، وهو أن تملأ الحوض الكبير وتضع الكثير من الصابون، وتظل قرابة الساعة تلعب فى المياه وكأنها طفلة فى حمام السباحة، وتخرج بعد ان تجفف نفسها وتلقى بجسدها العارى تماما على سريرها، وتغط فى نوم عميق، إلى أن تشعر ببعض البرد، فتجذب الغطاء الموجود أسفل قدميها وتعود لنومها الهادئ مرة أخرى.

ظلت سعادة فى بيت الحاج أمين شهوراً، إلى أن انتهت السنة الدراسية، وجاءت إجازة نهاية العام، الذى انهت فيها البنت الكبيرة امتحانات الشهادة الإعدادية. وتكررت جلسات سعادة مع البنات، بعد انتهائها من عملها يومياً، وسالت هبه سعادة ذات مرة وقالت لها:

– هما ليه سموكى سعادة؟

ردت عليها بحزن:

– أمى يوم ما عرفت إنها حامل فيا، صممت تنزلنى عشان عندها ست عيال. لفت كتير ومعرفتش، وخدت وصفات شعبى وبرضه تبت ومرضيتش انزل، ويوم ما ولدتنى قالولها سميها اسم عفش عشان تعيش، وده سلونا يعنى، قالتلهم تعيش ليه هى الدنيا يعنى حلوة قوى عشان تعيش فيها.. انا هسميها سعادة عشان تغور فى داهية، الدنيا مش ناقصاها. وسمتنى سعادة وادينى اهو لا مت ولا عشت فى سعادة.. طلعت شغالة زيي زي اهلى.

هبة هى البنت الكبرى. كانت بيضاء جميلة، جسدها متناسق، وعيناها واسعتان، وشفتاها منتفختان كحبتى كرز حمراوتين. لها نهدان نافران، وكانهما يحاولان الهروب من هذا الجسد الممسك بهما بشدة ويرفض هروبهما. مشاكسة جدا، تحب القراءة ومشاهدة الأفلام الرومانسية، وبعد اقترابها من سعادة مع الوقت، بدأت تحكى لها عن علاقتها بشباب فى المنطقة، واستخدمت سعادة فى توصيل الخطابات لأصدقائها، واستخدمها الشباب فى توصيل الهدايا لهبة. وبدأ شباب جدد يتقربون لسعادة، لكى ينالوا رضاءها، حتى تصلهم بهبة. وكانت تأخذ منهم الاموال والهدايا بفرحة شديدة،

وتقربت سعادة ايضاً من بعض الشباب، مثل بائع اللبن والولد الذى يقوم بتوصيل الطلبات من البقال..

وتغيرت سعادة..

صارت لها علاقات مع كثيرين، ومنهم شاب فى شدة الوسامة، يعمل فى ورشة مجاورة. وكان يعذبها، ويطلب منها أشياء كثيرة.. تارة يطلب منها نظارة غالية، واخرى يطلب سترة جلدية، يفوق ثمنها مرتب سعادة. وأخيراً، أوصلها شيطانها غلى سرقة الأم والحاج أمين.

بدأت تسحب مبالغ بسيطة، ولكن بشكل مستمر، وتعطيها لفتاها، الذى اتلف عقلها وجعلها تسرق المكان الوحيد الذى شعرت فيه بالسعادة والهدوء والراحة. جعلها مريضة.. مريضة بالسرقة، مريضة بالجنس.. مريضة بالغيرة والحقد. بدأت تشعر بالغيرة من هبة، وتحب إيذاءها، وتشوه سمعتها، وتطلب منها أموالاً حتى لا تخبر ابواها بعلاقاتها. ومع ذلك، كانت هبة تحبها، وتغدق عليها بالأموال والهدايا، ليس خوفاً منها اكثر منه حباً فيها، وتعود على وجودها فى حياتها.

إلى أن استيقظ البيت ذات يوم على صراخ هبة!.. هرعت إلى غرفتها، فوجدت أخاها يضربها ويصرخ فى أمها ويقول:

– بنتك فضحتنا يا أمى.. أنا مش عارف أمشى وسط أصحابى.. كلهم عارفين أن اختى بتعرف شباب وبتخرج معاهم وما إن لمح سعادة، حتى صرخ فيها:

– انت السبب.. انتى اللى بتوصليلها الرسايل.. انت اللى بتساعديها تخرج تقابلهم.. انت لازم تسيبي البيت ده حالا

كانت الأأم مصدومة مما تسمعه، ولم تستطع الرد. كل ما فعلته أنها هدات من روع ابنها، ووعدته بحل الموضوع، وطلبت منه ان يسافر إلى العين السخنة مع أصدقائه، كنوع من تغيير الجو، على وعد بأنها ستتولى الأمر. لكن الفتى سافر مهموماً وحيداً ولم يستطع أن يأخذ أصدقاءه معه، وفضل ان يكون وحيداً.

***

ظلت الأم صامتة، تتابع الفتاتان وهى عاجزة عن الكلام معهما، تنوى التحدث إليهما، ثم تتركهما وتغلق عليها غرفتها. كانت تحاول ان تستجمع افكارها، وتحسن القرار. ماذا ستفعل بعد ان يعود ابنها؟ ماذا يمكنها ان تفعل مع الفتاتين اللتين اخطأتا بالفعل. كانت الام سلبية، لا تستطيع اتخاذ قرار فى حياتها. كانت تعتمد اعتماداً كلياً عل زوجها الحاج أمين، وهذه هى المرة الأولى التى تشعر أن ابنتها كبرت وأصبحت انثى لها ميول عاطفية يجب الحذر منها. لم تفكر فيها هكذا، لقد كانت تعاملها دائماً كطفلتها المدللة التى لا تكبر، ولم تنتبه إلى أنها صارت تلك الفتاة المراهقة التى أصبحت تمتلك مشاعر واحاسيس ورغبة. غلبها النوم، وهى تشعر بالعجز والخوف من أن يصل امر كهذا لزوجها، الرجل الفاضل ذى السمعة الطيبة، الذى لن يتحمل أبداً شيئاً كهذا.

***

جلس الحاج امين امام زوجته وابنتيه على مائدة الطعام، وهو يتحاشى ان تلتقى عيناه بعين زوجته. لم تكن زوجته تعلم بالصراع الذى يدور داخله.. لم تكن تعلم أنه تاجر، ويتواجد يومياً بالسوق والشارع، ويعرف كل شئ. لم تكن تتخيل كم العذاب الذى يعيشه، وكان يحاول إخفاء مشاعره، ولا يخرجها أبداً إلا فى صورة معاملة قاسية لسعادة، كانوا يتعجبون جميعاً منها، بعد ان كان يعطف عليها ويتعاطف دائماً مع قصتها وحياتها التى روتها لهم منذ أن جاءت إلى البيت مكسورة ذليلة. تركت هبة المائدة، واتجهت إلى غرفتها، ونظرت إلى سعادة تشير لها أن تتبعها. دلفت سعادة إلى غرفة هبة، وأغلقت الباب خلفها. وما إن راتها هبة حتى قالت لها:

– هنعمل ايه يا سعادة اخويا مسافر بقاله 3 ايام، وماما ما اتكلمتش ولا قالت حاجة.. تفتكرى قالت لبابا؟

– لا مافتكرش.. هو الحاج كان هيسكت لو كانت قالتله حاجة؟

– طب بصي.. احنا نستنى اما بابا ينتزل بعد الغدا، وننده ماما ونتكلم معاها

– ماشى وانا مرتبالك حتة قصة بقى، هتخليمك تنسى الموضوع خالص، وتاخدلك حقك من اخوكى كمان على الضرب اللى ضربهولك

لم يكن لسعادة خلال الثلاثة أيام الماضية شيئاً تفعله، إلا أنها تفكر كيف تاخذ حقها من الابن الذى اتهمها انها السبب فى انحراف أخته، على الرغم من إنها جاءت إلى هذا البيت ووجدتها بهذا الحال، هى فقط باتت تساعدها، ولكنها ليست السبب. كان كل همها ان تفعل اى شئ كى لا تعود مرة اخرى إلى مستنقع ابيها. وظلت تخطط، إلى ان نجحت فى فى التوصل لفكرة لتشويه صورة الأخ، ومقابل هذا تصلح صورتها وصورة هبة، ليس حباً فيها، ولكن فقط حتى تكون بطاقة فى يديها صالحة للعب.

***

انتظرتا الفتاتان مغادرة الأب للمنزل، ودلفتا إلى غرفة الأم لتتحدثا معها

– ماما انت لازم تسمعيني

– اسمعك ايه بس.. هو اللى انتى عملتيه ده سهل؟ ده أنا لو قلت لابوكى هيقطم رقبتك انتى ومقصوفة الرقبة دى

تدخلت سعادة:

– والله يا حاجة الأستاذ الصغير بيفترى عليا.. انا معملتش حاجة، والست هبة دى شمعة، ولا حد يقدر يجيب سيرتها برضى.. دى برضه بنك الحاج أمين، يعنى مش اى حد.

بصى.. انا هحكيلك كل حاجة، بس أمانة عليكي ما تاذيه ولا تقولى للحاج نظرت الأم بريبة إلى سعادة وقالت

– اتكلمى يابت فى ايه؟

– بصى يا حاجة.. الاستاذ الصغير اتغير خالص عن ساعة ماجيت.. الأول كان كويس ومؤدب وبيرجع بدرى، لكن بقاله فترة بيضغط على الست هبه وياخد فلوسها غصب عنها. فاكرة يا حاجة الانسيال بتاع الست هبة، اللى ضاع؟ اهو ده ما ضاعش ولا حاجة.. ده اخده منها غصب وهددها لو قالتلك انتى والحاج مش هيحصلها طيب. وآخر مرة طلب منها فلوس مارضيتش تديله عشان كده فضحها الفضيحة اللى شوفتيها دى. انجدينا منه يا حاجة، والله انا خايفة يكون بيشرب المدعوقة دى اللى اسمها المخدرات

صدمت الام مما تسمعه، ونظرت لهبه وسألتها

– الكلام ده حقيقي يا هب؟

ارتبكت هبة، وهمت بان تجيب، ولكن قاطعتها سعادة وقالت:

– الله!.. وانا هكدب ليه بس يا حاجة؟ مانا بتكلم قدامها، هو انا بحكى من وراها

بكت الام بكاءً شديداً، وأحست بخيبة أمل فى ابنها الذى كانت تبنى عليه آمالاً عظيمة هى وابوه.. اقتربت منها هبة، واحتضنتها، ونظرت لسعادة من خلف امها نظرة ندم، ولكن سعادة غمزت لها ووضعت سبابتها على فمها، فى علامة تشير لها بالسكون

***

ظهرت النتيجة، وبدأ الحاج أمين يتحدث مع ابنه فى رغبته ان يكمل دراسته بكلية التجارة، حتى يستطيع أن يساعده ويباشر اعماله. ولكن كانت الصدمة، ان الابن رفض اقتراح أبيه، وصمم على ان يسافر يستكمل دراسته بالخارج. صدم الأب، ولكن لم يكن بيده حيلة امام إصرار ابنه على السفر. وبالفعل، سافر الابن، وترك لسعادة الساحة تلهو بها كما يحلو لها، حاملاً معه احزانه، وحسرة قلبه على فراق أهله.

***

عشر سنوات ولم يعد الابن الى البلاد، وباتت اخباره تاتى إليهم عن طريق مكالمة هاتفية كل عدة شهور. لقد غادرهم الأاب إلى ربه بعد خمس سنوات من سفر الابن، وأصبحت الفتاة التى لا تكتب حتى اسمها هى من تحكم البيت، يساعدها فى ذلك مرض الأم، التى باتت لا حول لها ولا قوة. وتركت سعادة اعمال البيت والنظافة تدريجياً، وأحضرت أختها لتقوم بتلك الاعمال، ونجحت فى التسلل لتصبح هى المسؤولة عن أعمال الحاج أمين، وتدير محلاته ومصنعه بكفاءة تحسد عليها، وهى من تمنح هبة وأختها النقود، حتى ان الأخت الصغرى لم تتحمل، وغادرت البلاد لتلحق باخيها، استكمالا لدراستها بالخارج هى الاخرى.

عاشتا – سعادة وهبة – حياتهما طولا وعرضا، تنفقان اموال الحاج أمين على رغباتهما، إلى ان سقطت هبة فى حب صديق لسعادة، كانت قد التقت به فى غحدى الرحلات التى تعودت أن تقوم بها فى نهاية الاسبوع، كتقليد اعمى للمجتمع التى صارت تنتمى إليه.

بالطبع، لم ينجذب طارق إلى سعادة، لنه من الوهلة الاولى لم ير فيها شيئاً يجذبه، ورآها لا تشبه الحياة التى تعيشها. ولكن الفضول جعله يتقرب إليها، فكان ذلك سبباً ان يقابل هبة فى احدى المقاهى الكبرى، التى تعودت سعادة ان تذهب إليها بصحبة هبة. ووقع طارق فى حب هبة، واحس أنه وجد ضالته المنشودة.. بنت جميلة (بنت ناس) كما يطلقون. ولكن كان كل همه ان يفهم ما الذى من الممكن ان يجمع بين فتاتين مثل هبة وسعادة!

تقرب طارق إلى هبة، وأصبحا جزء لا يتجزأ من حياة بعضهما. كانا يستيقظان على صوت بعضهما، ثم يلتقيها ويقضيان مع بعضهما معظم الوقت، غلى ان احست سعادة ان هبة بدات تتغير من ناحيتها، وبدأت تثور على وضعهما، وكانت الطامة الكبرى يوم ان جاءت إليها هبة وقالت:

– سعادة، انا قررت أشتغل

– تشتغلى ايه؟!

– أشتغل فى مصنع بابا. انا قررت انزل المصنع وافهم الشغل واتعلم. أكيد يعنى انا اقدر اعمل اللى انتى بتعمليه وأكتر كمان

صدمت سعادة من القرار، ومن طريقة هبة الفجة.. واحست ان الدنيا تدور بها.. هل انتهى الأمر عند هذا الحد؟ هل ستترك هبة تأخذ كل شئ، بعد ان اغرقت نفسها فى أعمال المصنع، وصار من أكبر وأهم المؤسسات فى البلاد؟

نفضت هذه الافكار عن رأسها ونظرت إلى هبة:

– وسي طارق بقى بسلامته هو اللى اقنعك بالكلام ده؟

– ماله طارق ومال انى عايزة انزل اباشر شغل بابا؟

بدأت سعادة تشعر بالخطر، واحست ان كل شئ فى طريقه إلى الضياع..

– هبة يا حبيبتى.. انتى عمرك ما نزلتى المصنع ده. أنا متأكدة انك لو حبيتى تروحيه دلوقتى هتتوهي ومش هتعرفى مكانه. ولو كان طارق هو اللى أقنعك انك تمشيني وتمسكى الشغل مكانى فأنا عايزاكى تبقى متأكدة أنه طمعان فيكى. ده لقاكي لقية قدامه، إنتى فرصة مش هيعوضها تانى.. بنت حلوة وجميلة ومتعلمة وغنية. بس عندك مشكلة واحدة، عارفة ايه هى؟ أنا.. أنا واقفة فى زوره.. أنا الشوكة اللى هتعطله انه يوصل للملايين اللى بيحلم بيها. صديقني، مافيش حد هيحبك ولا هيخاف عليكي قدى

– انتى ايه اللى بتقوليه ده؟! انا مقدرش استغنى عنك، انا بس عايزة اشغل وقتى، وطارق مالوش دعوة بالموضوع ده خالص

نظرت لها سعادة، واحست انها لابد ان تتعامل بذكاء، وعليها ألا تخسر هبة، فهى على الرغم من إنها لم تتعلم، وبالكاد تعلمت كيف تقرأ كلمات بسيطة وتكتب اسمها، بتعبير أدق (تفك الخط) ولكنها كانت شديدة الذكاء، وتحب الحياة، وعلى استعداد أن تفعل أي شيء ولا تخسر ما وصلت إليه.

اعتدلت في جلستها، ووضعت يدها على كتف هبة وقالت:

– خلاص يا حبيبتي، من بكرة تنزلي معايا وتفهمي الشغل، ده حقك وفلوسك، ومحدش هيخاف عليها زيك، بس عشان خاطري... خلي بالك من طارق، أنا مش برتاح

لـه، مـع أنـي أنـا اللـي عرفتك عليـه، بس بجد بندم، مـا نتـي طـول عمرك بتعرفـي ده وبتسيبي ده، وبتغيريهم زي بما بتغيري فساتينك، مش فاهمة اشمعنى ده اللي اتعلقتي بيه كده!

ضمتت هبة، ولم تنطق بكلمة.

***

هبه لم تكن غبية، ولكنها كانت تشعر بالأمان في وجود سعادة، على الرغم من أنها متعلمـة ومثقفـة، ولكنهـا كانـت لا تسـتطيع اتخـاذ أي قـرار فـي حياتهـا، إلا بعـد أن تستشـير سعادة. نجحت سعادة فعلاً في اختراق حياة هبه بالكامل، استطاعت أن تجعل هبة بلا إرادة ولا قرار أمامها، ومع ذلك، كانت سعادة قد بدأ يتسرب القلق إلى قلبها، وأحست بالخطر في وجود طارق، وكان لابد من التخلص منه بأي طريقة.

***

أدار طارق سيارة هبة، وانطلق من أمام مدفن الأسرة، بعد أن أتموا دفن أمها، جلست هبـة بجانبـه شـاردة حزينـة، وجلسـت سـعادة فـي الخلـف، تفكـر فـي الوضـع الجديـد، ومـاذا سيحدث عندما يعود الأخ والأخت للمطالبة بميراث الأب والأم، وهل سيضيع من يديها كل مـا ظلت سنوات تبنـي فيـه؟ ومـا إن نظرت أمامهـا، حتـى وجدت طـارق ينظـر لهـا فـي مرآة السيارة ويبتسم، تعجبت جداً من موقفه، كيف يبتسم في هذه الظروف، وكيف ينظر لها في المرآة هكذا؟!

توقفت السيارة أمام منزل هبة، وهبطتا هي وسعادة منها متجهتين إلى الباب، وما إن وصـلتا إلـى الشـقة ودلفتـا، حتـى احتضـنت هبـة سـعادة، وظلـت تبكـي، كانـت لا تعلـم لمـاذا تبكـي.. لـم تكن مرتبطـة بأمها لهذه الدرجـة، ولكنهـا فجأة أحست أنها وحيدة... أحست أنها فقدت كل من كانوا لها في الحياة، الأب والأم والأخوات... أحست بداخلها بضياع هائل.

أفاقت من نوبة بكائها في حضن سعادة على صوت طرق الباب. كان طارق قد ركن السيارة في مكان آمن، وصعد.

نظرت إليه وقالت:

– اتفضل يا طارق... مفيش حد غيرنا.

– أنا آسف... كنت عايز أسيبك تستريحي بس مقدرتش... قلت حتى لو هتنامي شوية هقعد هنا استناكي لما تصحي.

– أنا فعلا عايزة أنام... مش قادرة، أنا طول الليل في المستشفى، ويدوبك نمت ساعة واتصلوا بلغوني الخبر.

– طب يا حبيبتي... اسمحيلي اعتبر البيت بيتي واستناكي لما تصحي.

– طبعاً يا طارق هو فعلاً كده.

نظرت له سعادة في غيظ وردت:

– طبعاً طارق مبقاش غريب... ده بقى واحد من العيلة وراجلنا دلوقت.

ابتسم طارق، ونظر إلى سعادة نظرة فاحصة وظل صامتاً.

***

قدمت سعادة فنجان القهوة الذي طلبه طارق إليه:

– اتفضل، معلش البنت اللي معانا واخدة أجازة بقالها يومين

رد طارق متهكماً:

– قصدك أختك.

ردت سعادة عليه بغيظ، وهي ترسم باستامة مفتعلة على شفتيها:

– أظن مش عيب أني كنت شغالة يا طارق، وقدرت ابني نفسي بنفسي ولا ايه؟

– لا طبعاً ده مش عيب... العيب انك تبني نفسك بفلوس غيرك وتوقعي العيلة في بعض... العيلة اللي احتوتك وخلتك بني ادمة.

وغمز بعينه لها وقال:

– ولا ايه؟

أجابت بحدة وهي تدافع عن نفسها

– مين المجنون اللي قالك الكلام ده؟ أنا عمري ما وقعتهم في بعض، هما اللي أصلاً عيلة ملغبطة ومبيحبوش بعض، أنا ماليش دعوة

أمال رأسه ناحيتها، وقال بصوت منخفض:

– أنا عارف يا سعادة... عارف... مش هينفع نتكلم هنا؛ هبه ممكن تصحا في أي وقت وتسمعنا... أنا عايز أقابلك لوحدنا

نظرت له سعادة بلطف، وسألته:

– يعني انتي مصدقني يا طارق؟

– طبعاً يا حبيبتي.. طبعاً مصدقك

أحست سعادة بإحساس غريب وهي تسمع كلمة "حبيبتي" من شفاه طارق. لأول مرة تشعر بها، وتصدقها، فكل من يعرفونها من أجل مصلحتهم الشخصية يقولون لها كلام حب وغزل، تغدق عليهم بالأموال والهدايا، وتعطيهم ما يطلبون وهي لا تصدقهم، ولكنها في حاجة إليهم... في حاجة إلى أن تعيش قصص حب، حتى ولو كانت وهمية. ولكن هذه المرة مختلفة. أحست بمشاعر طارق... لم تكن تصدق أن طارق سيترك هبة الجميلة والثرية وينظر لها هي.

أسلمت يدها ليد طارق، وهو يضع قبلة في داخل كفها، ويخبرها أنه في انتظارها في بيته غداً ليلاً.

وقفت سعادة أمام المرآة، تستعد لميعادها مع طارق، ارتدت عدة فساتين، ولم تقتنع بأي منها، إلى أن استقرت أخيراً. خرجت من حجرتها، وفجدت هبة في الصالة تحتسي الشاي، فأحست بارتباك وهي تخرج ثاني يوم من الوفاة بفستان داكن نعم ولكنه مزركش وقصير، غير مناسب لحالة العزاء بالمرة، خاصة ووجها مكتمل الزينة، لم تسألها هبة إلى أين هي ذاهبة، فقط اكتفت بالنظر إليها في صمت، ولم تشأ سعادة أن تعكر صفو نفسها، وهي ذاهبة إلى اللقاء الأول لها مع طارق، فقالت لها:

– انتي عارفة مصالح الشغل يا حبيبتي ما بتستناش الأحزان... مشوار سريع أقضيه ومش هتأخر عليكي... باااي

– باي

كانت هبة متأكدة أنه ليس موعد للعمل والمصالح، فهي تاعلم أن سعادة مدمنة للجنس وعاشقة للرجال، ولن تستطيع أن تعيش معها فترة حزنها على أمها. لكنها لم تكن تتوقع أن الرجل هذه المرة هو حبيبها، أمسكت بهاتفها لترد عليه، وكان طارق يحدثها وهي تستمع إليه بلا تركيز، هو لم يكن يريد شيئاً محدداً، ولكنه اتصل ليكذب كذبة هو ليس في حاجة إليها، لكي يبعد عنه أي شبهة أن يكون هو رجل سعادة هذه الليلة.

***

فتح طارق باب منزله، واستقبل سعادة وهو يرتدي شورت وقميصاً مفتوحاً يظهر جسده الممشوق، وما إن رأته سعادة، حتى ارتمت في حضنه، وأدخلته المنزل بقوة، وأغلقت الباب بقدمها دون أن تلتفت خلفها، ونظرت في عينه وقالت له:

– وحشتني يا طارق

لم يرد طارق، ولكن جذبها من يدها وأجلسها على أريكة كبيرة في ردهة المنزل، ونزع عنها حقيبة يدها، ووضع ذراعه على كتفها وضمها إليه وهو يلتقط شفتيها بين شفتيه بعنف، كان يعلم أنها تعشق الجنس، وكان يعلم أيضاً أي أنواع الجنس تحب، فقد كانت هبة تروي له كل شيء عن سعادة... عن حياتها ومزاجها... كل شيء يخص حياة سعادة كان يعلمه.

نظر إليها طارق بإعجاب مفتعل وهي ترتدي ملابسها وقال لها:

– دا انتي طلعتي صاروخ

نظرت له نظرة حانية وقالت:

– طارق... أنا يمكن مش جميلة شكلاً... لكن الأكيد أني بعرف أسعد الراجل بتاعي كويس قوي.

جذبها من يديها قبل أن تكمل ارتداء ملابسها، وطبع عدد من القبلات على وجهها وقال:

– طب يلا اسعديني يا سعادة... اسعديني

استسلمت له سعادة، ولم تقو على أن تتركه وترحل.

استيقظت سعادة صباح اليوم التالي، لتجد نفسها عارية في سرير طارق، وهو ليس بجانبها، لم يطل قلقها، وإذا بطارق يأتي إليها حاملاً في يده طاولة إفطار، قائلاً بطريقة نوبية مازحة:

– الفطار جاهز يا ستو هانم هضرتك تؤمر بهاجة تاني

ضحكت سعادة من قلبها ونظرت إليه قائلة:

– انت بتدلعني قوي يا طارق... معقولة كل ده عشاني! أنا عمر ما حد عمل لي كده!

شردت بأفكارها بعيداً، حيث كانت تقوم من سريرها لتقذف بمئات الجنيهات بجانب من كان في حضنها، وترتدي ملابسها وتمضي، وضع طارق يده على شعرها بحنان وقال:

– هاااااي... سعادة، روحتي فين؟

– أبداً، معاك يا حبيبي، عارف انت عملت ايه من امبارح للنهاردة؟

– ايه يا ست الكل؟

قالت ضاحكة وهي ترتمي بجسدها فوق جسده:

– انت أسعدت سعادة نفسها

***

لم تشك هبة بأي شيء، حيث كان طارق حريصاً جداً ألا يقصر معها أو يغير معاملته، وهذا ما كان يقلق سعالدة، وكانت دائماً تنهره وتطلب منه الابتعاد عن هبة، فكان يطمئنها أنه سيبتعد، ولكن بعد أن يحصلوا على المصنع والمحلات، ثم يرمونها، كان دائماً

يقول لها إن هبة هذه لا تستحق النعمة، وأنهما لابد أن يأخذا منها كل شيء، ثم يبتعدا عنها ويتركانها تتعلم الحياة الحقيقية... الحياة التي عذبتهما إلى أن تعلما كل شيء بمنتهى القسوة.

روى طارق لسعادة كل شيء عن حياته، كيف كان يعيش مع عمه، وكيف كانت حياته جحيماً معه هو وزوجته، روي لها كيف كان يسرق عمه حتى يأكل، حيث كانوا يمنعون عنه الطعام، ويعاملونه أقل من الخادم. وتعاطفت معه سعادة، وأحست أن الله أرسل لها نصفها الآخر الذي يستطيع أن يفهمها، لأنه تقريباً عاش نفس ظروفها. وصدقته سعادة، وأحست أنها ولدت من جديد منذ أن قابلت طارق. لم يكن ينغص عليها حياتها سوى علاقته بهبة. كانت تحترق كلما تقابل معها، وكلما فرض عليها التعامل بشكل طبيعي وهي ترى هبة في حالة حب مع طارق. كانت تتحمل، أملاً في ذلك اليوم الذي ستعيش فيه ما طارق في بيت واحد، وينعمان معاً بالنعيم المنتظر من أموال هبة، ولكنها الحياة... لا تكون حياة إذا أتت رياحها بما تشتهي السفن!

انتهت هبة من مكالمتها وسعادة تنظر لها بشغف متسائلة:

– ايه قالك ايه؟

– قاللي انهم نازلين مصر يبيعوا كل أملاكهم ويرجعوا تاني

– طيب تمام... احنا بقى لازم نرتب أمورنا

– يعني نعمل ايه؟

– يا تشتري انتي يا اشتري أنا

نظرت لها هبة بتعجب متسائلة:

– تشتري انتي! انتي معاكل كل الملايين دي؟

– لا طبعاً مش معايا. لكن هتشتري انتي باسمي، وانا هدير المصنع كله، ومكسبنا بالنص. ومن مكسبي هسددلك الفلوس اللي دفعتيها

– وانا هستفيد ايه لما اعمل كده

– هتستفيدي اني ادير المصنع وأحميه من أي مشتري جديد ييجي يقاسمك فيه، ده غير أن اخواتك ممكن يرفضوا يبيعولك ويبيعوا لأي حد تاني بالعند فيكي

– تفتكري؟

– طبعاً افتكر... انتي نسيتي احنا عملنا ايه في أخوكي.. تفتكري انتي انه نسي؟

فكرت هبة قليلاً وأجابتها:

– طب ما أكيد مش هيرضوا يبيعولك برضه

ردت سعادة بهدوء وقالت:

– طارق

نظرت لها هبة باستغراب وقالت:

– طارق؟

– أيوة طارق

– ماله طارق

– نشتري باسمه وبعدين نسوي ده بيننا بعد ما اخواتك يسافروا تحولت نظرة هبة إلى الريبة، وضاقت عيناها وهي تسألها:

– وانتي واثقة فيه بقى قوي كده ليه؟ مش ده طارق اللي كنتي عايزاني اسيبه وشايفاه طمعان فييا؟

تلعثمت سعادة، وحاولت أن تجيب، ولكن صمتت قليلاً ونظرت لهبة وقالت:

– ورقة ضد

نظرت لها هبة وقالت:

– أنا مش بفهم في الكلام ده يا سعادة... عموماً اتصرفي انتي والمحامي وقوليلي انتي عايزة ايه وانا هعمله

ابتسمت سعادة ابتسامة واسعة، وصمتت

***

أمسك طارق بيد نهى وهو يقول لها:

– مش عارف ازاي حبيتك في الوقت القصير ده.

– انا كمان مش عارفة ازاي حبيتك في الوقت القصير ده، وبجد بقيت مش قادرة أعيش من غيرك

التقى طارق بنهى في أحد محلات الجاليري بوسط البلد، وهي تحاول أن تشتري قطعة مزيفة، والبائع يقنعها أنها أثرية، أنقذبها طارق من عملية احتيال بمبلغ ضخم، وتقرب منها كطامع فيها، ولكنه للأسف أحبها، وأصبح لا يستطيع العيش بدونها، وأصبح كل شغله الشاغل أن ينهي علاقته بسعادة وهبة ويتزوج نهى؛ ولكن بالطبع بعد أن يكمل عملية احتياله عليهما، ويفوز بالملايين التي تمتلكها هبة، ويستطيع بها التقدم بثقة للزواج من نهى.

أكمل طارق خطته مع سعادة في الاحتيال على هبة، وجاء اليوم المنتظر... يوم وصول الأخوين من السفر لإنهاء الإجراءات، وبالفعل وصلا إلى البيت وانتظرا قدوم المشتري– وهو طارق– وما إن وصل إلى البيت وجلس في الصالون، حتى وجدها أمامه مبتسمة صامتة

حاول طارق أن يكذب عينيه، ولكنه تأكد أنها هي، فصرخ:

– نهى!

أجابته سعادة:

– نهى مين... دي هتنا أخت هبة، اللي انت هتشتري منها نصيبها، وده أخوها هيثم

صمت طارق وهو ينظر إليهم جميعاً مشدوها، هنا تحدثت هبة موجهة الحديث لسعادة:

– طب مش تعرفينا على نفسك، زي ما عرفتيه على هنا كده

همت سعادة بالكلام، ولكن قاطعتها هبة وقالت:

– عنك انتي.. اعرفكم أنا

– دي يا جماعة سعادة... سعادة اللي اتربت معايا في بيت واحد... الي جت هنا خدامة شحاتة، وأنا اللي خلتها بني آدمة... أنا اللي علمتها ازاي تكتب اسمها وازاي تأكل وتشرب، وفي الآخر خطلفت الراجل اللي كنت هتجوزه

ونظرت إلى طارق، واستطردت:

– ومش بس كده... دي اتفقت معاه انهم ينصبوا عليا ويأخذوا كل فلوسي ويرموني زي الكلبة

حاول طارق أن يقول شيئاً، ولكن هبة أسكتته بإشارة من يدها، ولكن سعادة لم تقو على السكوت، وتكلمت موجهة كلامها لطارق:

– عملتها يا طارق... وقعت بيني وبينها؟

قاطعتها هبة:

– طارق معملش حاجة.. انتو الاتنين اللي عملتو يا سعادة.. انتو اللي بعتوني واتفقتو عليا... مش عايزة أشوفكم تاني. اخرجوا بره حياتي، أنا مش عايزة حتى اسمع اسم حد فيكم

***

لم ترتح هبة لرضا سعادة المفاجئ عن طارق، ولا لهدوء طارق من ناحية سعادة، بعد أن كانا في هجوم متبادل مستمر، كانت لابد أن تتأكد من شكوكها، وبالفعل زرعت كاميرات مراقبة صوت وصورة في بيت طارق، وجلست في بيتها تشاهد وتسمع كل شيء.

جن جنونها، ولم تعرف ماذا عليها أن تفعل. لم تجد أمامها إلا أخويها، فاتصلت بهما وأخبرتهما بكل شيء، واعتذرت لهما عن كل شيء، وجدتهما متحمسين جداً للوقوف بجانبها، ولم يتأخرا عنها، ووجدتهما في مصر بعد مكالمتها بثلاثة أيام، واتفقوا على الخطة كاملة. دبروا لقاء هنا بطارق، واستطاعت هنا أن تحصل على معلومات كثيرة، أفادتهم في خطتهم إلى أن أوقعوا بهما.

هيثم وهنا استبعدا فكرة بيع المصنع والمحلات، وبدأ يرتب الأمور لأخته هبة، لإدارة كل شيء. وهبة كانت قد قررت أن تتغير وتصبح شخصاً جديداً يعتمد عليه، ولم تدع اجتهاداً تستطيعه إلا وبذلته، وعرفت معنى العمل والنجاح.

***

لم تحاول هبة معرفة أي شيء عن سعادة، وحاولت نسيان موضوعها برمته، وبالفعل نجحت في ذلك، ولم تحاول التفكير فيها مرة أخرى، ذهبت لزيارة مدفن عائلتها، لأول مرة منذ وفاة أمها، ووقفت أمام المدفن تقرأ الفاتحة، وأعطت القارئ بعض نقود، وهمت بالمغادرة، فلمحت سيدة تجلس على الأرض وتدفن وجهها بين قديمها، فذهبت إليها ومدت يدها إليها بورقة مالية وهي تقول

– اتفضلي يا حاجة

رفعت السيدة وجهها إلى هبة، فإذا بها سعادة، ترتدي ملابس ممزقة غير نظيفة، وتمسك بيدها حقيبة بلاستيكية بها بعض الفاكهة والمخبوزات التي يوزعها الزائرون للمدافن صدقة على أرواح ذويهم، همت سعادة بأن تقول شيئاً، ولكنها صمتت عندما تركتها هبة وغادرت المكان، غير مكترثة بما آل إليه حالها.

ليلة الزفاف

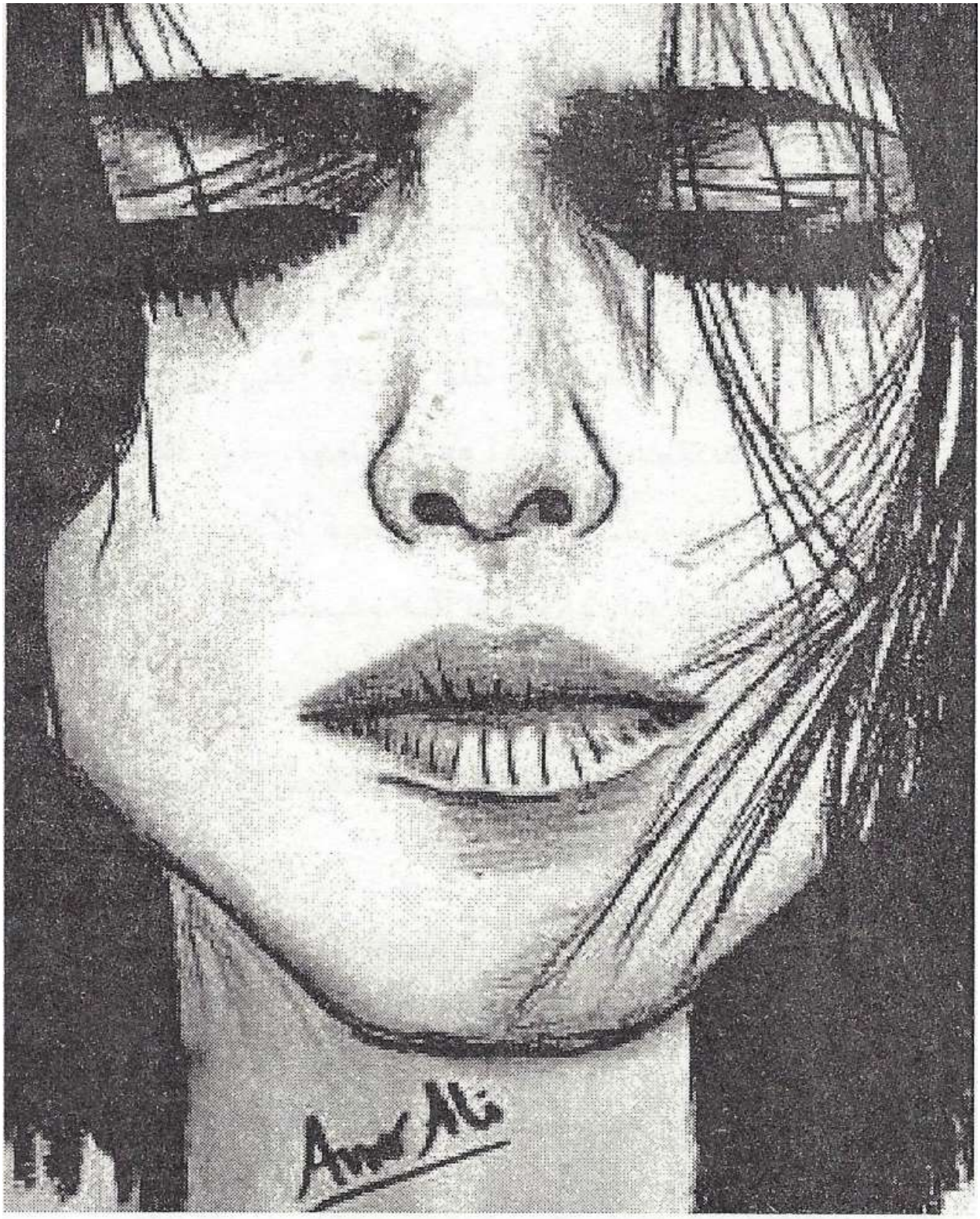

جلست بجانبه عروس جميلة، في ثوب زفافها الأبيض، سعيدة فرحة ينظر لها المدعوون، ويحسدون عريسها على فوزه بكل هذا الجمال، همس في أذنها أنه لا يصدق نفسه، هل بعد قليل سيكون معها في بيت واحد؟ هل ستجمعهما غرفة واحدة، بل ستنام بين أحضانه مطمئنة؟ أخذ بيدها، ورقصا مع أصدقائهما واحتضنها بشدة كأنه يخاف أن يفتقدها أو تهرب منه، أحس أنه طائر يحلق في سماء حبهما. ومع كل همسة في أذنيها، تضحك ضحكتها الرقيقة، التي كانت سر انجذابه لها منذ البداية. نعم، منذ أن رآها في منزل صديقه للاحتفال بعيد ميلاد شقيقته، وأخذ ينظر إليها بطريقة لفتت نظرها... ولكنها لم تكن تلك الفتاة التي تهرب من نظرات الإعجاب، بل كانت تتحدى نفسها ومن أمامها، وترد النظرة بنظرات، مما جعله هو يتبك ويشيح بوجهه للناحية الأخرى. ضحكت بشدة وكأنها تحتفل بانتصارها، واتجهت إليه وهمست:

– ممكن اعدي؟

نظر إليها متعجباً، حيث أن هناك عدة طرق تمكنها من المرور وقال:

– طبعاً اتفضلي... بس انتي رايحة فين؟

نظرت له وتعمدت أن تنظر إلى عينيه بقوة، مما جعله يتلعثم، ولاحظت هي عرقه الذي بدأ يتصبب منه، فقالت برقة جذابة:

– مش رايحة في مكان... أنا كنت عايزة اعدي من هنا وخلاص

نظر لها وضحك بشدة، وبطريقة تمثيلية انحنى لها وقال:

– تفضلي يا مولاتي فانت تأمرين ونحن علينا التنفيذ

ضحكت ضحكة عالية وهي تمثل أنها ملكة وتمر من أمامه، وأكملا ليلتهما الأولى معاً، أحسا أنهما يعرفان بعضهما البعض منذ زمن بعيد... أو كان هذا إحساسها فقط!

ظلا معاً أياماً طويلة، عاشت بين أحضانه. لم تكن تشعر بأي شيء سوى حضنه الدفائ، ولم تكن تريد غيره. أنساها كل شيء... أنساها حياتها، دراساتها العليا التي تعدها، والعادات والتقاليد. أنساها نفسها

وعندما هم بنقل خاتم الزواج من يدها اليمنى إلى يدها اليسرى، أفاقت من شرودها وهو يضع الخاتم في يد عروسه، وليست يدها هي!

***

كيس أسود

دقات السرعة تشير إلى السادة صباحاً... فتح عينيه، وتثاءب، ليخرج كل ما بداخله من ألم. ولكن كيف، وحياته مليئة بالآلام... آلام وجهه المشوه، وآلام نومه يومياً على الأرصفة، وآلام نظرات الخوف التي يراها في عيون الأطفال، والتي تصادفه يومياً... وحتى آلام نظرات العطف الممزوجة بالتقزز. لقد يئس، وحاول الانتحار عدة مرات، ولكن حتى الموت كان بخيلاً عليه بحضنه. بحث عن عمل، ولكن وجهه المشوه كان حائلاً بينه وبين الناس. لم يستطع إقناعهم أن خلف هذا الوجه المرعب قلباً طيباً حنوناً لا يستطيع الإيذاء.

ظل يمشي "المحمدي" في شوارع المحروسة، يسأل كل من يقابله عن عمل، ولكن بلا جدوى. إلى أن وجد رجلاً ثلاثيني يغادر سيارته ويتجه إلى إحدى بنايات حي الزمالك، توسم فيه الخير وهرع إليه..

– لو سمحت.

نظر له الرجل، وهم بإخراج بعض النقود لإعطائها له، فاستطرد المحمدي سريعاً:

– أنا آسف يا فندم... أنا مش شحات... أنا بدور على شغل

أجابه الرجل

– للأسف أنا مقدرش أساعدك في دي

– لو حضرتك ساكن في العمارة دي، يبقى تقدر تساعدني. أنا ممكن اعمل أي حاجة، أمسح سلالم، ألم زبالة، أقضي طلبات... أي حاجة حضرتك... ممكن اشتغل أي حاجة

نظر له الرجل مرتاباً، ولكن سرعان ما ذهبت ريبته حين قال له المحمدي بتوسل:

– أرجوك!

أحس الرجل براحة غريبة له، وشعر من داخله أنه يريد أن يساعده، فنظر إليه وقال:

– استناني هنا هرجعلك

جلس المحمدي على الرصيف المواجه للبيت، ينتظر الرجل، وهو من داخله واثق أنه لن يعود... ولكن ربما...

نظر دكتور رجائي صاحب البناية إلى الشاب الثلاثيني، وصرخ:

– مشواه! طب ليه كده يا خالد يابني! هتعمل فينا كده ليه؟

– يا دكتور أنا قلت إن حضرتك اللي هتفهمي وهتقدر الظروف اللي هو فيها، وبعدين ده شكله غلبان قوي، وطريقة كلامه بتقول إنه متعلم

صمت رجائي قليلاً، ثم نظر إلى خالد وقال في استسلام:

– طيب نشوفه

هرع خالد إلى المحمدي الجالس على الرصيف وقال له

– انت اسمك ايه؟

– أنا محمدي يافندم

– انت شكلك متعلم

تلجلج محمدي وقال:

– يا فندم أنا معايا دبلوم تجارة وبحب القراية

– عظيم... تعالى معايا

وقف محمدي أمام دكتور رجائي، الذي سأله:

– انت اشتغلت ايه قبل كده يا محمدي؟

– حاجات كتير يا فندم وممكن اشتغل أي حاجة

– طيب أنا حالياً مش محتاج في العمارة غير حد يلم الزبالة من الشقق، والموضوع مش مرهق لأن العمارة 3 أدوار، وكل دور شقتين، يعني هما 6 شقق اللي هتخدمهم، ومنهم واحدة أصحابها عايشين برة وبييجوا كل سنة

– أنا متشكر جداً يا فندم... إن شاء الله أكون عند حسن ظنك

***

جلس محمدي على الدرج الخاص بالبناية، وفتح علبة الطعام التي أعطاها له خالد وأكل منها القليل. كانت هذه عادته، فهو لا يأكل لكي يشبع، هو يأكل القليل الذي يجعله يعيش فقط. نظر إلى قطة صغيرة جلست بجانبه على الدرج، فمد يده لها بالطعام، فأكلت حتى شبعت، وجلست تلعق جسدها وتنظفه، ثم غطت في سبات عميق.

تركها محمدي في هدوء كي لا يزعجها، وصعد إلى الأعلى، حيث سمح له الدكتور رجائي أن يعيش في غرفة على سطح البناية، وضع جسده المتهالك على المرتبة القطنية الموضوعة على الأرض، وأحس أنه يسمع أنين جسده، فهو لم ينم هذه النومة المريحة منذ زمن.

استيقظ كعادته في السادسة صباحاً، هذا الميعاد الذي تعود عليه طيلة حياته أن يستقيظ فيه، دون أي منبه، حتى في يوم جمعة مثل هذا اليوم، دخل إلى الحمام المجاور للغرفة، وفتح المياه، وللمرة الأولى أيضاً منذ زمن، يقف تحت مياه منهمرة بهذا الشكل.. أحس بشيء من السعادة.

جفف جسده، والتف بالمنشفة التي أعطاها إياها الدكتور رجائي ضمن بعض الحاجات الأساسية وهرع إلى الغرفة سريعاً، وارتدى ملابس نظيفة. أفرغ جيب ملابسه القديمة، فوجد عدداً من القطع المعدنية وورقتين بخمسة جنيهات، قام بعدهم، وابتسم، ثم نزل إلى محل ورد صغير جداً يقع في باية الشارع، ودخل إليه وسأل البائع عن ثمن الوردة الواحدة.

– خمسة جنيهات.

ظهرت على وجهه خيبة الأمل، فهو لا يملك غير خمسة عشر جنيهاً، شكر البائع، وهم بمغادرة المكان ولكن البائع استوقفه وقال له:

– معاك كام؟

– 15 جنيه وعايز 5 وردات

ابتسم البائع، وعد خمسة وردات حمراء وأعطاه إياهم وقال:

– حلال عليك الورد.. انت شكلك راجل طيب وهتاخدهم تسترزق منهم

ابتسم محمدي، وأخذ منه الورد وأعطاه النقود.

عاد محمدي إلى البناية، ووقف في المدخل ونظر في المرآة الملصقة على الحائط، وهندم ملابسه البسيطة وتوجه إلى الدرج. وصل إلى الطابق الأول وقرع الباب، ففتح له خالد مبستماً، مد محمدي يده إليه بوردة وقال:

– دي حاجة بسيطة... حبيت أتعرف على السكان بطريقة ودودة بس

ابتسم خالد، والتقط الوردة من يده ملوحاً بها، وأغلق الباب ليتركه يكمل رحلته بالبناية...

طرق الباب المقابل لشقة خالد، ففتحت له سيدة تبدو على مشارف السبعين، ترتدي بيجاما حريمي بيضاء وفوقها روب أبيض تتخلله خطوط زرقاء، وشعرها قصير معتني به عند مصفف شعر. عرفها باسمه وبأنه من سيجمع القمامة بدءاً من اليوم، فنظرت له طويلاً مترددة في أخذ الوردة منه، ولكنها في النهاية أخذتها، وابتسمت وقالت له:

– نورتنا يا محمدي... انت عارف أني بحب الورد قوي؟ هستناك كل يوم تاخد الزبالة، بس متجيش متأخر أنا باخد الدوا الساعة 9 وبنام

– متقلقيش يا هانم، أنا هحدد معاكي ميعاد لم الزبالة والعمارة كلها تمشي عليه ايه رأيك الساعة خمسة كويس؟ وليكي عليا يا ست الكل كل يوم أجيبلك وردة.

ضحكت العجوز ضحكة طفولية، أشعرته أنها محت تشوهات وجهه، بل أقنعته أنها لا تراها من الأساس، ثم قالت بطريقة أرستقراطية:

– الراجل اللي بيجيب ورد يا محمدي بيبقى راجل شيك وكلاس... وانت دمك خفيف، وخفة دمك دي هتخليني أدخل اجيبلك حتى كيكة برتقال من اللي أنا عاملاها

ابتسم محمدي، وتفاءل أن باقي الرحلة ستكون أبسط بكثير، مد يده يأخذ منها الطبق البلاستيكي الذي يستعمل لمرة واحدة، ولم يغضب من حذرها أو يفكر بأي طريقة تجعله يفقد روعة هذه اللحظة.

جلس على الدرج، والتهم القطعة بالكامل. لم يأكل الحلوى منذ زمن بعيد. لم يتخلص من الطبق والشوكة البلاستيك، بل أمسكهم، وظل يثني ويقطع ويربط في كل أجزائهم، إلى أن صنع وردة جميلة، ووضعها للسيدة المسنة على باب شقتها.

صعد إلى الطابق الثاني، وطرق باب إحدى الشقتين. فتحت طفلة صغيرة لم تتعد الرابعة من عمرها، ما إن رآها حتى أسرع في إخفاء الجانب الأيمن من وجهه، حتى لا تفزع، نظرت إليه مبتسمة، وقالت بصوت عال يشبه الصراخ:

– ده عمو يا ماما

جاءت الأم مسرعة، وتسمرت أمام محمدي. كانت امرأة ثلاثينية بارعة الجمال ممشوقة القوان، مهندمة حتى بالملابس المنزلية، لا تضع مساحيق على وجهها، وشعرها مرفوع بشكل عشوائي فوق رأسها.

مد لها محمدي يده بالوردة، وقال:

– انا محمدي يا فندم. هاجي كل يوم ألم الزبالة الساعة خمسة، وحضرتك تقدري تسيبيها برة لو تحبي، بس مش من بدري عشان القطط، وأنا هاجي آخدها على طول.

أخذت الأم منه الوردة، وبحركة تلقائية قربتها من أنفها واشتملت رائحتها، ثم نظرت له وقالت:

– انت جايب الورد ده من عند حسن اللي في أول الشارع، صح؟

نظر لها بتعجب وأجاب:

– أيوة صح.. بس حضرتك عرفتي ازاي؟

– أصلي عميلة عنده، بجيب منه على طول، لأن الورد عنده بلدي بجد مش مرشوش عليه برفيوم صناعي، برافو عليك بحد.... You made my day بالوردة دي

أغلقت الباب، وجلس هو على الدرج يستريح من كم المشاعر المختلطة بداخله، أحس أن قلبه يكاد أن يقفز من صدقه، وأخذ يحدث نفسه:

"ايه اللي بتعمله ده، أزاي بتفكر في كده؟!... انت نسيت نفسك"

وأخذ يرج في رأسه، وعقله يصرخ..

"انت زبال... وما كنتش تحلم كمان يقبلوك زبال"

نفض كل الأفطار عن رأسه، وأخذ يحاول أن يتماسك، إلى أن هدأ قليلاً واتجه إلى الشقة المقابلة... ورن الجرس. انتظر طويلاً، حتى هم بمغادرة مكانه، ولكن فتح الباب شخص تبدو عليه آثار النعاس، ونظر إلى محمدي بعينين شبه مغلقتين وسأله:

– انت مين؟

– انا محمدي والمفروض أني

قاطعه الرجل:

– مفروض ايه وبتاع ايه... انت معندكش دم!... حد يصحى حد من النوم عشان يقوله أنا محمدي؟ نعم، عايز ايه؟

– انا يافندم هلم الزبالة كل يو.....

قاطعه مرة أخرى صائحاً:

– يا أخي انت ايه... انت غبي؟... هما كل الزبالين كده!... ارحموني عايز انام، يلا غور في داهية، ما عنديش زفت زبالة.

أغلق الباب بعنف، وأحس محمدي باختناق شديد، ونزل مسرعاً يريد الشارع، استوقفته مدام قريدة، سيدة كيك البرتقال:

– في ايه يا محمدي، مالك؟ هو الزعيق اللي سمعته ده كان معاك؟

أجابها بصوت مختنق:

– ما حصلش حاجة يا هانم

ابتسمت له وبنظرة حانية قالت:

– أنا كنت هقولك بلاش شقة هشام، عشان ده عصبي ودمه تقيل، انت عارف... مرة قابلته في الأسانسير قولتله بونسوار، قال لي وانتي من أهله يا حاجة، تصور!

ضحك محمدي ضحكة مريرة، وبرغم دموعه التي أغرقت وجهه، إلا أن مدام قدرية تجاهلت الدموع، حتى تجعله يتوقف عن البكاء، وطلبت منه أن يدخل إلى شقتها.

أدخلته معها إلى المطبخ. كان واسعاً للغاية، وبه منضدة خشبية وحولها أربعة مقاعد، دعته للجلوس وجلست أمامه تكمل ما كانت تفعله. كانت تعد صينية مكرونة بالبشاميل، وظلت تتحدث معه إلى أن انتهى الفرن من تسوية صينية المكرونة، فأخرجتها وقطعت قطعتين، واحدة لها وواحدة لمحمدي، وتذوقت قطعة ثم هتفت:

– انت ابن حلال قوي يا محمدي. أول مرة أعمل المكرونة حلوة كده، كان دايماً ناقصها حاجة..

صمتت قليلاً ثم قالت له بحنان أم حقيقي:

– الظاهر كان ناقصها انك تكون هنا يا محمدي

نظر إليها محمدي، مندهشاً من كل هذا الحنان في نبرات صوتها.

نظرت هي إليه بدورها وقالت:

– مالك يا محمدي؟ ما تستغربش يا بني، أنا ست كبيرة.. أنا عندي 71 سنة، يعني عندي خبرة كافية أعرف بيها الناس اللي قدامي كويسين ولا لا.. وانت كويس، أنا إحساسي كده.

بعد أن شربا الشاي، شكرها محمدي على الاستضافة والغداء، والاحتواء الذي احتوته به كأنها أم. وقبل أن يغادر، نادته قدرية وقالت:

– محمدي... في يوم من الأيام هتحكيلي... ماتقلقش... هسمعك

***

خرج محمدي من عند قدرية مليئاً بطاقة إيجابية غير عادية. وأحس أنه لم يعد وحيداً، وأخيراً وجد أحداً على استعداد لأن يسمعه، ويجلس معه دون تقزز.

قرر أن يكمل رحلته بالبناية، وأن يعطي الوردة الخاصة بهشام لأم الطفلة التي علم بعد ذلك من قدرية أن اسمها ليلى. وبالفعل، طرق الباب مرة أخرى، ووجدها أمامه تنظر إليه مستغربة وقالت:

– عدي عليا كمان شوية يا محمدي، لسه مش هرمي الزبالة دلوقتي

– لا أنا... أنا...

– في ايه.. انت ايه

– أنا جيت أدي لحضرتك دي

ضحكت ضحكة رقيقة وقالت:

– ايه يا محمدي، انت هتصرف فلوسك على الورد ولا ايه؟

ابتسم وقال:

– والله يا فندم لو اقدر هعمل كده... دي لبنت حضرتك

ضحكت ثم سألته في جدية:

– في ايه، الراجل ده كان بيزعقلك ليه؟

– أصلي صحيته من النوم

– يقوم بعمل الهيصة دي!... راجل فظيع

– عن إذن حضرتك. هطلع أكمل تعارف على السكان

***

طرق الباب الخامس، وهو يضع يده على قلبه، كان خائفاً من رد فعل باقي السكان.. خائفاً من الجرح، فقد جرح بما يكفي، ولا يريد أن يتذوق المرار أكثر من ذلك.

فتح الباب رجل في الأربعينات، يرتدي جلباباً أبيض، ويمسك في يده مصحفاً، وما إن رآه حتى نظر إلى الجانب الآخر ثم عاد بوجهه لينظر إليه مرة، ويقول بطريقة غير محببة:

– أيوة أي خدمة؟

قدم إليه الوردة، وعرفه باسمه ووظيفته الجديدة، وانتظر أي رد فعل، ولكن الرجل ظل صامتاً ولم يمد يده حتى ليأخذ الوردة. أخيراً قال وهو يهم بغلق الباب وقال:

– طيب يا محمدي، إن شاء الله تبقى تعدي تاخد الزبالة، هسيبهالك قدام الباب. فاهم كلامي؟ أنا هبقى اطلعهالك ومالكش تعامل مع المدام خالص؟

وقبل أن يجيب، كان الرجل قد أغلق الباب!

لم يرتح محمدي للرجل، ولكنه استسلم للأمر الواقع، فلابد أن يحافظ على الوظيفة، ولابد أن يرضي بنسبة الخير الذي صادفه، وهو في الحقيقة يكفيه... الأستاذ خالد والسيدة قدرية وعاشقة الورد وابنتها، أياً كان الثمن، فهو لا مأوى له إلا هذا المكان، وعليه أن يتحمله بعيوبه ومزاياه.

***

بدأ محمدي في جمع القمامة، وأخذها إلى سطح البناية، انتظاراً للسيارة المخصصة لذلك، التي تأتي في العاشرة صباح. كان ينتهي من جمعها قرابة الساعة السادسة، ولم يكن لديه ما يفعله حتى اليوم التالي، فبدأ يفكر في فرز القمامة وتجنيب كل ما يصلح لاستفادته. صارت هذه وسيلة تسليته، ووجد الكثير في القمامة من علب بلاستيكية وعلب المياه الغازية المعدنية، وورق ولعب أطفال محطمة... بمرور الأيام، استطاع جعل سطح البناية بيتاً متكاملاً، بناه من القمامة.

وبدأ يعرف الكثير عن السكان عن طريق قمامتهم، أصبح كالقطار القشاش، لا يترك شيئاً في القمامة إلا ووقف عنده ووجد فيه تفسيراً وتحليلاً لصاحبه، وجد في قمامة هشام زجاجات خمر كثيرة، وفي قمامة قدرية صوراً ممزقة شاب ثلاثيني، وفي قامة ليلى ورقاً ممزقاً مكتوباً به كلمات قليلة، وكأنها تحاول أن تكتب خطابا، وفي كل مرة تعود عن قرارها وتمزق الورق.

أحس أنه اقترب من القاطنين بالبناية، وعرف عنهم أسراراً كثيرة.

***

هبط محمدي من السلم الخاص بالخدم العاملين بالبناية، وهو يحمل أكياس القمامة ليسلمها إلى السيارة، التي اعترض سائقها كثيراً على حجم الأكياس التي انكمشت، ومن الواضح أنها كانت أضعاف هذه الكمية، لم يلق محمدي بالا لكلامه، سلمه القمامة وأدار ظهره للرجل في صمت، وعاد إلى البناية، فوجد هشام أمامه، فتنحى عن طريقه وأكمل صعوده للسلم، ولكن هشام ناداه..

– يااااااااا... يااااااااا.. محمد

نظر إليه محمدي وأجابه:

– محمدي يا فندم محمدي

– آه محمدي.... ازيك

نظر له محمدي باستغراب:

– الحمد لله يا فندم

– انت ما بتخبطش عليا ليه عشان تاخد فلوس الزبالة؟

– أنا تحت امرك يا فندم، بس الشهر لسه ماخلصش

نظر إليه بعدم اعتناء وهو يتجه إلى سيارته:

– طيب ابقى عدي عليا، عايزك تنضفلي البيت، وعندي شوية هدوم قديمة عايز اديهالك

كتم محمدي غيظه، ونظر إليه وقال:

– تحت امرك يا فندم بس أنا عمري ما نضفت بيوت وأكيد مش هعجبك

لم يرد عليه هشام، وتركه وركب سيارته.

كاد صبر محمدي على هذا الرجل أن ينفذ، ولكنه ظل يذكر نفسه أن الرجل طبيعي، وأن وضعه هذا أمر واقع، ولابد أن يتعامل معه بكثير من الصبر، بدأ صعوده ثانية، فقابل الرجل الأربعيني ذا اللحية الطويلة، بصحبة زوجته، ويحمل حقائب سفر. قبل أن يفكر هل يعرض المساعدة، أم أن الرجل لا يستحقها، كان الرجل قد ناداه:

– محمدي، كويس أنك هنا.. خد نزل الشنط دي في العربية

استجاب له محمدي، وقام بوضع الحقائب في السيارة، وقادت السيدة سيارتها ومعها أولادها، ووقف الرجل يلوح لهم مودعاً، ثم أعطى محمدي عشرة جنيهات، وعاد إلى شقته.

هرع محمدي إلى بائع الورد، وطلب منه وردتين من النوع التي تحبه ليلى، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة ونصف، فتوجه مسرعاً إلى البناية لجمع القمامة، وقرع باب قدرية ففتحت به مبتسمة، فاعطاها الوردة، فأخذتها بسعادة، ثم أخرج من جيبه صورة ممزقة أعاد لصقها، وقدمها إليها، فنظرت له بتعجب وبعض الغضب وقالت:

– ايه ده؟ ليه يا محمدي، أنا قطعتها خلاص ومش عايزاها

– ده ابنك، صح؟

– أيوة ابني... اللي مابقاش ابني خلاص

ثم أشارت بيدها له:

– تعالى يا محمدي

أجلسته في المطبخ، وأخرجت ألبو صور من أحد الأدراج وقالت:

ده ابنـي... اللـي رمـاني ومـا بيسـألش عنـي ولا حتـى بتليفـون. ومعـاه توكيـل علـى حساباتي، وطول الوقت بيسحب فلوسي، وما بيفكرش حتى يتصل بيه يقول ميرسي!

– طب حضرتك ليه مش بتلغي التوكيل

نظرت له وفي عينيها حنان جارف يغمره الدموع:

– ما هو ابني برضه يا محمدي. بس هو مش فاهم أني مش عايزة الفلوس، وممكن انقلها كلها باسمه.. بس يسأل على امه

أحس محمدي أنه يريد أن يحضنها ويربت على كتفها، ولكنه تذكر وضعه فاكتفى بأن يقبل يدها ويواسيها:

– حضرتك ست طيبة، وهو أكيد عنده مشاغل... وأكيد هو فخور بأم حنونة زيك

نظرت له متعجبة وسألته:

– انت حكايتك ايه يا محمدي؟

– حكاية زي كل الحكايات اللي مالية الدنيا، ولا ليها أي أهمية عند أي حد

قال وهي تضع أمامه بعض أطباق الطعام:

– مسيرك هتحكيها.. وانا قلتلك قبل كده اني هسمعك

أنهى طعامه شاكرا السيدة الحنون، وغادر البيت وهو ممسكاً بكيس القمامة، وضع قمامة السيدة أمام شقة ليلى، وقرع الباب، ففتحت الطفلة وصرخت بطريقتها الطفولية المحببة لديه:

– ده محمدي يا ماما

جاءت ليلى مسرعة إلى الباب، وقال بمرح:

– متأخر عن ميعادك ليه يا أستاذ محمدي؟

أعطاها الوردة مبتسماً ولم يرد على السؤال

تناولت الوردة، واشتمتها كعادتها وشكرته، أعطاها ورقة مكتوب فيها نصف خطاب، أخذتها وقرأت محتواها، وبدا عليها الذهوب، ثم أفاقت من ذهولها وقالت:

– ايه ده؟

– أعتقد أن هو ده الكلام اللي كنتي عايزة تكتبيه لأخوكي وكل شوية تقطعي الورق وما تكمليش كتابة.

صمتت قليلاً، ثم وجهت حديثها لابنتها بارتباك

– يلا يا تيما لازم نلحق التدريب

وأغلقت الباب وأخذت ابنتها، وتوجهت إلى الدرج وهي تنظر إليه بتعجب

ابتسم محمدي وأكمل رحلة جمع القمامة، ثم توجه إلى سطح البناية وهو لا يعلم أكان ما فعله صواباً أم خطأ. قضى ليلته يفكر فيما حدث. هل فرحت بما فعل، أم اعتبرته يتجسس عليها وستتحدث إلى دكتور رجائي وتطلب منه أن يطرده من البناية. لم يستطيع تلك الليلة أن يبحث في القمامة كعادته، وظل مستيقظاً حتى السابعة صباحاً يتقلب في فراشه ولا يعلم مصيره.. حتى سمع طرقات على باب الغرفة، ولم يصدق نفسه، حين فتح الباب ورآها أمامه!

– أنا آسف

– لأ خالص يا محمدي... أنا طول الليل بفكر انت ازار وصلت انك تكتب اللي جوايا بالطريقة دي

تنفس الصعداء، فهو لا يصدق أن كل الاحتمالات التي وضعها في ليلته الساهرة لم تكن صحيحة. هتف:

– يعني مش زعلانة؟

– لا مش زعلانة... أنا مستغربة انت ازاي فضلت تجمع كل اللي أنا بحاول اكتبه من أسبوعين في ورقة واحدة

– ممكن تستنيني؟ لحظة واحدة وهاجي حالاً

انتظرت ليلى بالخارج، واندهشت من كم الأشياء التي صنعها من القمامة بأشكال جميلة. لمحت بين أشيائه ألعاب ابنتها، وقد أصلحت وصارت كأنها جديدة.

عاد إليها بعد أن اغتسل، وفي يده وردة أعطاها إياها.

– دي وردة النهارده... نصيبك بقى تاخديها قبل ميعادها

التقطت الوردة بسعادة وقالت:

– أخويا أخذ كل ميراثي، ورافض يديني أي حاجة منها، والمرحوم أبو تيما ما سابليش أي حاجة غير المعاش... بعيش بيه أنا والبنت في حدود المعقول، بس صعبان عليه البنت تعيش في الظروف دي وهي عندها ملايين

– ملايين!... معلش. طيب ما تشتغلي من البيت.. انتي تقدري تعمل شغل من على الإنترنت وتسوقي عن طريق صفحات الفيسبوك. انتي بس محتاجة ترتبي افكارك وتشوفي انتي متميزة في ايه وتستغلي ده

نظرت له بتعجب:

انت عرفت الحاجات دي منين؟

تلجلج محمدي قليلاً وأجابها:

من التليفزيون ومن الشارع... اللي يعيش يا ما يشوف يا فندم

لم ترتح إلى إجابته، وأحست أن محمدي وراءه سر كبير

***

انتهى محمدي من جمع القمامة، وجلس أمامها يبحث فيها كعادته. لم يجد الكثير في هذه الليلة، سوى عدد من الواقي الذكري في قمامة الرجل الأربعيني المقيم في الدور الأخير. ضحك، وتذكر زوجته التي غادرت البناية منذ يومين، وتركته يلهو في بيتها كما يحلو له. توجه إلى فراشه، وظل يفكر في ليلى، إلى أن غلبه النعاس واستيقظ في الصباح. قام بجمع

جميع الألعاب التي تخص تيما، وتوجه بها إلى شقة ليلى، وطرق الباب. وما إن فتحت ديما حتى صرخت:

– ماما عمو محمدي جابلي لعب كتيييير

جاءت ليلى إلى الباب وشكرته:

مش عارفة اقولك ايه. أنا طول الليل بفكر في كلامك، وفعلاً لقيتي أني ممكن ابدأ من جديد، وافتكرت أيام الجامعة لما كنت بعمل الاكسسوارات بتاعتي بنفسي، وكانت بتعجب صاحباتي جداً. أنا قررت أني ابدأ اشتغل، وفعلاً طول الليل بعمل حاجات... ودي عشانك يا محمدي

أعطته ميدالية معدنية عليها علامة استفهام، فابتسم وأخذها منها وشكرها، وهو يفهم جيداً الإشارة التي أرسلتها له بها، ولكنه تظاهر بعدم الانتباه لمقصدها.

جلس ليلاً في فراشه، وهو يحتضن الميدالية ويبكي من قلة حيلته. أحس أنه يريد أن يتحدث... يريد أن يصرخ... يريد أن يروي قصته للعالم أجمع؛ ولكن منا باليد حيلة.

تسلل نور الصباح من نافذة الغرفة وأيقظه، فنهض من فراشه وتوجه إلى الحمام ليغتسل، وإذا به يجد خالد ينتظره بالخارج. اندهش من وجوده، فهذه هي المرة الأولى التي يصعد خالد له إلى سطح البناية.

تهلل فرحاً به وهتف:

ايه الصباح الحلو ده يا أستاذ خالد! والله كده اليوم أكيد هيبقى حلو

نظر له خالد بنظرة معاتبة متسائلاً

– أستاذ؟ أنا أستاذ؟ امال انت تبقى ايه؟

نظر له محمدي مرتاباً:

– خير يا أستاذ خالد، في ايه؟ انت زعلان مني في حاجة؟

هز رأسه نافياً..

– أنا زعلان عليك

ليه بس، مالي يا أستاذ؟

بطل كلمة أستاذ دي، وقل لي يا خالد زي مانا بقول لك يا طه

انزعج محمدي وقال بتلعثم:

– طه! طه مين أنا محمدي يا فندم

– طه حسين علي المحمدي... 45 سنة... دكتوراه وأستاذ مساعد بكلية الآداب قسم علم نفس، جامعة إسكندرية، اتهموك في قضية تحرش بطالبة عندك في الجامعة، وأخوها رمى على وشك مية نار، ومن ساعتها سبت اسكندرية وماحدش يعرف عنك حاجة.. صح كده ولا أنا نسيت حاجة؟

صرخ محمدي في وجهه وقال:

– آه نسيت... نسيت تقول إني مظلوم... نسيت تقول إنهم لفقولي تهمة التحرش... نسيت تقول أن دكتور مؤنس هو اللي ورا الحكاية... نسيت تقول إني لما طلعت براءة من التهمة الشنيعة دي دكتور مؤنس بعت حد ورايا رمى عليه مية النار، مش موضوع أخو البنت ولا غيره. نسيت تقول إن أخويا ومراته طردوني من بيتي عشان مش قادرين يشوفوا وشي المشوه كل يوم.. طردوني بحجة أني فضحتهم ولوثت سمعتهم!

انهار محمدي– أو دكتور طه– على الأرض، وأجهش في البكاء، فوجئ بقدرية وليلى تساعدانه في النهوض، وقدرية تصرخ في وجه خالد:

– هو ده النصاب اللي انت عايز تكشفه قدامنا؟... يا أخي حرام عليك!

نظرت إلى محمدي، ورفعت وجهه بيدها، وأزاحت الشال الذي اعتاد أن يخفي به نصف وجهه الأيمن، وقالت له:

– أنا مصدقاك يا ابني... مصدقاك... ولو كل الناس قالت عليك كده، أنا قلبي عمره ما يكدب، ومصدقاك

قبل محمدي يد قدرية، وشكرها وبكى كثيراً، وهو يتحاشى أن ينظر إلى ليلى، التي نطلقت أخيراً:

– أنا كمان عمري ما صدقت أنك مجرد عامل نضافة، كنت دايماً شايفاك من جوه.. كنت متأكدة أن في سر

انسحب خالد مبتسماً، فاستوقفه محمدي وهو يقول:

– أستاذ خالد... استنى

وقف خالد ينظر إليه منتظراً، فقال طه:

– انت مغلطتش يا خالد.. انت صدقت اللي اتقالك، زيك زي أي حد ميعرفنيش، لكن اقسم لك أني مظلوم... واني حبيتك يا راجل يا شهم... حبيتكم كلكم، وحسيت أن أخيراً ليا عيلة وأهل، حتى لو كنت أنا بالنسبة ليهم مجرد بتاع الزبالة، أرجوك... أنا ماليش غيركم، أنتم أول خير أشوفه من يوم ما... (وضع كفه على خده المشوه، وصمت لبرهة...) أنا غلطان أني هربت وماخدتش حقي، أنا لازم أرجع ولازم آخذ حقي من اللي ظلمني وشوه وشي وسمعتي

تنهد خالد، وقال له بهدوء:

– مش واخد بالك اني ما ندهتش غير مدام قدرية ومدام ليلى؟

لم يفهم طه في أول الأول، ولا المرأتان... ولكن ما هي إلا لحظات واتسعت ابتسامة طه، وعانق خالد بقوة، وفهمت المرأتان الحيلة. لقد جمع خالد حوله من يحبونه وسيتفهمون حكايته ويساعدونه، ولم يكن غرضه أبداً أن يفضحه.

– معلش يا جماعة، خضيتكم شوية... كان بس لازم نسمع منك يا دكتور طه

هتفت ليلى:

– أستاذ خالد، احنا لازم نوصل للحقيقة... لازم نجيب لمحمدي... قصدي لدكتور طه حقه

أومأت قدرية مؤكدة على حديث ليلى:

– صح كده... وأنا معاكم في أي فلوس تحتاجوها... أنا متكفلة بيها لحد ما حق محمدي يرجع

نظرت إليه وقالت:

أنا اتعودت خلاص انك محمدي، اعتبره اسم الدلع بقى يا دكتور أمسك محمدي بيدها يقبلها، ثم قال:

– ربنا يخليكي يا أمي... ربنا يخليكي للدنيا كلها

***

ذهب خالد إلى مكتب دكتور رجائي، بالمشفى الخاصة به، وروى له كل ما حدث، تأثر دكتور رجائي جداً بالقصة، وشعر بواجب ناحية دكتور طه، وقرر أن يجري له عملية جراحية تقلل من التشوه الذي أصابه، على أن يكون وذلك مساهمة منه لمساندة المظلوم. فرح خالد بقرار دكتور رجائي، وذهب إلى قدرية يبشرها، والتي بدورها طرقت باب ليلى حتى تخبرها، واجتمعوا على أن يذهب محمدي إلى مشفى دكتور رجائي، للكشف وتحديد موعد العملية.

تم تحديد موعد العملية الأولى، حيث تقرر أن الجرح يحتاج إلى ثلاث عمليات جراحية، وبعد ستة أشهر، كانت العمليات الثلاث قد أجريت بنجاح، وعادت الحياة إلى جه دكتور طه. الذي أحس أنه في حلم لا يريد أن يفيق منه أبداً. حلم ملؤه الحب والخير.

انتهت العمليات، وحان وقت التفكير في عودة طه إلى عمله؛ ولكن كيف؟ جلسوا جميعاً في بيت قدرية، التي أعدت كيك الفراولة خصيصاً للاحتفال بسلامة محمدي. أخذوا يفكرون كيف يرجعون الحق لصاحبه... أخذ خالد ورقة وقلم، وكتب فيها: صفاء... مؤنس...

– دول محور الموضوع كله. السر كله عند البنت صفاء، اللي ادعت أن دكتور طه تحرش بيها، ومش عايزة نباهة يعني أن مؤنس هو اللي طلب منها كده.

التفت إلى طه يسأله:

– قل لي يا دكتور، هي صفاء دي حالتها المادية ايه؟؟

– حالتها صعبة جداً، وكانت دايماً بتطلب مني نسخ مجانية من الكتب، وأنا ماكنتش بتأخر عنها لا في الكتب ولا في مساعدات مالية... بس هي ماحفظتش المعروف

خالد: خلاص، يبقى هي دي المفتاح

ليلى: وتفتكر هي هتوافق تضيع نفسها بالسهولة دي، وتقول انها اتبلت على دكتور طه؟

قدرية: الفلوس يا ليلى... الفلوس هتخليها تعمل أي حاجة.

خالد: يبقى مش فاضل دلوقتي غير أننا نشوف هنوصل لها ازاي

اتفق الأربعة على استقطاب صفاء إلى القاهرة، ومن ثم الاتفاق معها، وبالفعل، قامت ليلى بالاتصال بها، على أنها مندوبة دعاية لشركة أجهزة كهربائية... سألتها بعض الأسئلة البسيطة، وكلما تعجز عن إجابة أحدها، تعطيها فرصة أخرى. وفي النهاية، هنأتها بحرارة، وأخبرتها أنها فازت بشاشة تلفاز 43 بوصة. وعليها التوجه إلى القاهرة لاستلامها، أعطتها عنوان شقة قدرية، وموعداً بعد يومين، جهزوا فيهما لافتة وضعوها على باب قدرية قبل الموعد بساعتين.

حضرت صفاء وحدها لاستلام الجائزة، فقد كانت تنوي طلب بعض المال مقابل التنازل عن الشاشة، ولم ترد أن يقاسمها أخوها في شيء من ذلك، وصلت، ووقفت تقرأ اللافتة وتتأكد من اسم الشركة، ثم دقت الجرس، وكانت المفاجأة لها... بمجرد أن دخلت الشقة، وأغلقت ليلى الباب، وجدت دكتور طه في انتظارها!

ارتبكت الفتاة، ولم تستطع فتح فمها بكلمة... ولكن طه طمأنها وقال لها إنه لن يؤذيها... هو فقط يحتاج إلى مساعدتها

هدأت قليلاً.... على الأقل هو لن يلقي على وجهها مادة تحرقه لينتقم منها. بدأت في التحدث:

– عايز مني ايه يا دكتور؟

– عايز الحقيقة يا صفاء... انا اتحرشت بيكي؟

– لا

– طب ليه قلتي كده في المحضر؟

صمتت ولم ترد. حدثتها قدرية بدهاء امرأة سبعينية:

– بصي يا صفاء... لو على الكلية، انتي خلاص اخدتي الليسانس من شهرين، يعني مش هتنفصلي من الكلية لو اعترفتي، ولو على مؤنس، احنا هندفعلك قد اللي دفعه مرتين

صمتت صفاء وهي تنظر إليها بريبة، الأمر لم يعد مجرد بعض المال، لقد صار في الأمر جريمة وورطة. قال طه:

– يا صفاء ماتخافيش... احنا هنقف جنبك ومش هنسيبك. بس لازم تقوليلنا الحقيقة، مؤنس أقنعك ازاي تعملي كده.

نطقت صفاء أخيراً:

– ماكانتش مسألة فلوس بس... دكتور مؤنس هددني أنه هيسقطني في المادة بتاعته لو مانفذتش اللي عايزه. أنا أهلي ما يستحملوش أني أسقط، وكان ممكن يطلعوني من الجامعة لو سقطني. هو قال لي أن حضرتك مش طيب زي ما انا فكرة وانك بتؤذيه في شغله ومساعدتك ليا هتطلب تمنها من شرفي آخر السنة

صمت الجميع... البنت ليست شريرة تماماً كما كانوا يظنون.

قال خالد: يعني الموضوع كان تحت تهديد، مش بمقابل مادي.. فلوس

قالت صفاء: هو اداني 2000 جنيه بعد ما عملت المحضر

قدرية: طيب يا بنتي– احنا مش عايزينك تقولي حاجة غير الحقيقة دي. أنا هجيبلك أكبر محامي في البلد يقف معاكي، وكمان انتي طلعتي بنت مش وحشة... الراجل ده هو اللي كان بيهددك... وعلشاك كده لك عندي عشرين ألف جنيه تبتدي حياتك بيهم، ها قلتي ايه؟

لمعت عينا صفاء عند سماعها المبلغ.. هو بالنسبة لها مبلغ كبير لم تره بعينها من قبل. قالت:

– طيب أنا موافقة.. بس انتم لو اتخليتم عني بعد منا اعترف بالكلام ده، دكتور مؤنس مش بعيد يقتلني

قال لها طه: مؤنس مش هيقدر يهددك يا صفاء، لأنه هيتحبس بمجرد مانتي تقولي الكلام ده، واحنا مش هنتخلى عندك، متقلقيش خالص

***

احتضنت قدرية ابنها الروحي، طه، بمجرد سماع الحكم على مؤنس في المحكمة. انهار مؤنس وراء القبضان وبكى. رمقه طه، يخالط حمده لربه شعور بالشفقة على مصير زميله الذي خسر كل حياته باستسلامه لشيطان نفسه. جذبته قدرية، وشبكت يده بيد ليلى، وخرجوا جميعاً متوجهين إلى سيارة خالد، الذي زينها بالورود في انتظارهم.

التعريف بالكاتب

نهال اليماني، درست بالأزهر الشريف من المرحلة الابتدائية حتى تخرجت من كلية الدراسات الإنسانية قسم علم النفس جامعة الأزهر.

تعمل بأحد البنوك الاستثمارية.

بدأت الكتابة منذ عمر الثالثة عشر وتم نشر أول أعمالها من مقال وزجل وشعر في مجلة كلمتنا وهي في السادسة عشر من عمرها.

عملت بجريدة السياسي العربي ومجلة فلاش للأطفال

قامت بتأليف عدد من الإعلانات لأحد البنوك الشهيرة منذ 2013 إلى 2017

قامت بكتابة مسلسل آدم في عيون حواء (حلقات منفصلة) وتم البدء في التصوير

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/nehal.elyamany